

ايار ، ١٩٧٣ ، السنة ٣ ، العدد ١٢

هاشم خليل :

مدينة العاشقات — مسرحية جديدة

فاروق مواسي :

القصة العربية في اسرائيل

الشرق

ايار ، ١٩٧٣
السنة الثالثة ، العدد ١٢

مجلة شهرية تعنى بشؤون الادب والفكر والفن
تصدر عن صحيفة «**الانبـاء**»

مدير التحرير والادارة : **محمود عباسي**
رئيس التحرير : **زكي درويش**
سكرتير التحرير : **انطون شماس**

الادارة : القدس ، شارع هاركما رقم ٧ (ت ٥٢٧٢٣٣)
للمراسلات : ص٠ب - ٤٢٨ ، القدس ٠
الاشتراك السنوي : ١٠ ل٠ا٠ - لنصف سنة : ٦ ل٠ا٠
الثمن : ليرة اسرائيلية

مطبعة «دوكمة» م٠ض ، القدس ، ت ٥٣١٩٢٩

"A-SHARQ"
THE EAST
A Monthly Magazine for Literature & Art
Published by (AL ANBA)
P.O.B. 428 Jerusalem Tel 527233

„א-שרק"
המזרח
ירחון לעניני ספרות, הגות ואמנות
יוצא לאור ע"י עתון „אל-אנבא"
ת.ד. 428 — ירושלים טל. 527233

دافيد روكياح

روت

(١)

الساعات التي لا تميل للانصراف تطوف كرسوم تجريدية علـى الجدار · في الواقع تبحر الساعات كقوارب شقت اشرعتها في الريح · الساعة المتقفصة تنشب في النتوء الرملي ، وعلى النتوء الرملي تجلس روت وتبكي · طوال المساء تبكي روت · الزمن يتخلل دمها كالكبريت · طوال المساء على النتوء الرملي

(٢)

روت رقصت · حول النار رقصت روت · طوال الليل قبالة البحر · على وجه مرايا الماء · على المرايا التي تحت وجه الماء · الى ان تحطمت جميع المرايا رقصت روت طوال الليل

(٣)

روت ترسم · جمجمة جثة تعرض في حانوت الاثريات ترسم روت · مع الجمجمة تتحدث روت على سجيتها · تسألها حلولا كما يسأل العراف او قارىء الغيب ·

(٤)

متى التقيت روت مؤخرا · منذ ليال لم اسمع صوتها · رسائل ايضا لم تكتب روت · اسئلة لم اسأل · روت لا تحب الاسئلة · لا تجيب على الاسئلة · قلت روت مريضة · قلت تحطمت الجمجمة فكيف تحيا روت بدون الجمجمة الميتة

(٥)

سجلت في المفكرة : روت لم تكن ولم توجد · روت كانت مثلا · سمعت اصواتا صاخبة للمطر وفكرت بروت الجالسة على النتوء الرملي ·

حاولت ان انسى روت فنسيت نفسي • رأيت روت تقفز من السور وقدماها تنزفان دما • تحطم جمجمة وتعدو نحو البحر ـ رأيت روت

(٦)

في الغد تلقيت رسالة • من مدينة نائية كتبت روت • الجمجمة التي احببت كانت لي حقيبة مجوفة اختبا بها الزمن المتحرك بين الحياة والموت • حينما تحطمت الجمجمة رايت الظل الذى امتد من يدي الباكيتين آخذا بالامتداد نحو قدمي يقيدهما بالسلاسل • رايت ضوء الشظايا البراق ولم اعلم اهي روح الزمن المنفصم تنور من بين الشظايا او لعله الضوء المحفوظ الذى يظهر حين يولد مسيح كاشراقة فجر ثورة جديدة •

(٧)

مضيت ابحث عن حطام الجمجمة • قلت : ببقايا كيان روت الذي لا ينال سوف آتي الى بيتي • جئت الى البحر • كانت روت جالسة على النتوء الرملي • يداها مكتوفتان كانهما تمسكان وليد حلم • ظلهـا استلقى على المياه حيث تحركت وغدفت حجارة تشبه ضلوع الجمجمة • روت ، ناديت : النار آخذة بالانطفاء والليل يقترب نحو البحر كجواب اغبر جائع • مدي يدك لليل ستولد فيه الحاسات المخفية التي للزمن المتمرغ بين الرمال كحزمة نار هاربة من اصابة البرق للحجر •

ركعت روت ولم تنبس • ربما صلت روت في سرها وربما احست ان اصابع منتصف الليل تلتف عليها بشدة كاستجابات الصلاة ـ وهي ليست سوى الريح التي تهب باشرعة مشقوقة ملقاة لا تحير جوابا في مضاحل البحر

ترجمة : انطون شماس

ميشيل حداد

خمس قصائــــد

اربع قصائد ربيعية

وجــه

الوجه الحافل يتسلل الي
هكذا باحتفال ربيعي
اهمس في صمم اذني
اريد ان لا امنعه
كي نلتقي
على بياض لوحة بلا ريشة
وتتفاعل الايام .

قميــص

شدي على تأوهي
عانقيني بدورك
حينها تحتفل النجوم
على مدار صدرك الفضفاض
تكلح امام الشمس وتتهدل
بعد ان تتحرر من ملاقط الغسيل

صبــا

الربيع الرابض حول عينيك
تصفق له جوانحي
الضحكة الصامتة ليست كالابتسام
تطول وتعرض بين بهجة واخرى
حين تضميني الى ياسمينك الفذ
فاتمسح بالبياض الذي انفتح

عطــر

في انفي رائحة السودان
الفتاة الملتصقة بقارورة عطر
انداحت على ملوسة الشعر وتشبثت به
تعقص افراحي تقربا
تنعف الاهازيج في اخاديد جبهتي
بعدها
تفتح البوابة الرحبة صدرها لعجلاتي
هناك اشاهد ازديان القاعات
مفروشة بالارائك وبالالوان
واحس بعطر الصبا يتخلل طفولة روحي
فاحب لو اكتب قصائدي هناك .

ضوء احمر

«الديكور» منعوف على العازفين
الاضواء مسلطة بحرارة
واللحن المسجل
يصورون ظلال الوانه بالحركات

في مسابقة الغناء فازت ثمانية الحان
كل واحد يندد بالاخر
– لا معلومات لدي عن النتائج
– انت حكم في المسابقة
– اهدأوا ، الضوء الاحمر على الابواب

اسمعوهم يغنون للانسان وللحب
ويجي وانا مشغول بكل هذا
خلوا عيني وحدقوا في ملامحهم
اذني لسماع الحان الغربة

اللحن الاسباني يزغرد ويتطاول
الله يا اندلس العرب
ما كان اجدادي يغنون هكذا
الموشحات عذبتني
ليالي الحمراء وغرناطة

المطربة الفارعة تغني كالغجريات
ترقص كالغجريات
قرطاها تتسمعان لخطايا التشرد
تنقصها الفقاشات
لتكون راقصة على الرصيف

يا احبائي حين تخرجون
وينقطع التيار
يصير الاستوديو حزينا موحشا
كقلبي الان

فاروق مواسي

القصة العربية في اسرائيل

وانعكاس قضية التجديد الاجتماعي فيها

افتتاحية ونظرة تاريخية

عاشت الاقلية العربية التي بقيت في اسرائيل بعد عام ١٩٤٨ في وضع اشبه بالحصار الثقافي والسياسي · وكانت الكتب التي تتسرب الى مكتبة المثقف هزيلة على وجه الاجمال ·

ومع ذلك لم نعدم ان نجد بين ظهرانينا الشاعر والقاص وكاتب المقالة ، بذرات تأتى لها ان تعطي أكلا وتبسق بفضل استعدادها ودأبها ، ورعاية الادباء من يهود العراق ممن اغنوا ادبنا المحلي بملاحظاتهم وتوجيهاتهم وانتاجهم · كما كانت الصحف الحزبية بمختلف تياراتها تستقبل ما تنتجه القرائح فتحث على المضي قدما ·

واذا اعتبرنا الادب تعبيرا تسجيليا لواقع نعيشه فالقصة ، احد اركان هذا الادب ، احرى بالتسجيل من غيرها لما لها من علاقة بنائية بالوصف في نقل الصورة مضافا اليها ما يجعل فيها ذائقة ونكهة ·

وها نحن في معالجة لقصص ادبية ليس حتما ان تعبر تاريخيا عن مرحلة اجتماعية · هي صور التقطتها عدسات القاصين ، صور ليست غريبة عن واقع كان او حقيقة كائنة وانما فيها من البساطة والصدق ما يمثل قطاعا من الناس من الصعب تحديده ·

وفي مجتمعنا العربي الاسرائيلي مررنا بخطى ومراحل كادت ان تكون طفرة بعيدة المدى على المستوى الحضاري لذا فمن الطبيعي ان نجد هذا الاصطراع بين التقليد والتجديد ، وبين حدودهما وقفت القصة المحلية تسجل هذه التفاعلات النفسية والارهاصات الفكرية ·

ونحن هنا نريد ان نستقصي بعض ما كتبه القصاص حول نوعية الحياة التي كان يعيشها آباؤنا وما زالت آثارها متغلغلة في بعض العقليات المحافظة،هذه العقليات التي وقفت تستقبل الجديد مشدوهة ، يكتنفها جو من الحيرة والتمزق ، خائفة وجلة من مستقبل مشوب بالغموض ، فمن حق الاب الذى يهتدى بسنه آبائه ان يرفض افكار الابن الذى ينزع الى الاستقلال الذاتي في الرأى والابتعاد عن الرسميات العائلية · فلا غرو ان ترى الآباء بغالبهم يلعنون أبناء هذا العصر لما وصلوا اليه من فسق والحاد ·

واذا كان العربي الاسرائيلي قد تغيرت نظرته الى الحياة واقبلت الحياة عليه بفضل امتزاجه بشعب حضاري فقد مرت القصة ايضا عبر نقلات سريعة من حيث قيمتها البنائية والانسانية ·

اخذنا نقرأ القصة او اللوحة تصور المواقف الانسانية او تصف التقاليد او ترمز الى الوضع السياسي الحرج الذى تعيشه الاقلية العربية في اسرائيل ·

وبالتالي فقد حظت قصتنا بالتفات النقاد ، فهذا الاستاذ شمعون بلاص يترجم لبعض قصاصينا اذكر منهم توفيق فياض وحنا ابراهيم · كما ترجم توفيق شموش ايضا بعض القصص المحلية لزكي درويش ومصطفى مرار ، كما ترجم بنيامين زكاي ونير شوحيط بعضا من قصص محمود عباسي ، وترجم انطون شماس قصتين لزكي درويش ـ كل هذا الى العبرية · وهذه صحف الادب في العالم العربي تشيد بقصتنا المحلية ، فقصص اميل حبيبي وطارق عون الله ومحمد نفاع يطريها احد النقاد ويصفها بانها تمتاز «باصالة التجربة وصدقها وحرارتها»[1] ·

لسنا هنا بصدد تقييم فني للقصة المحلية فقد اخترت القصص التي تساعدنا في هذا البحث بغض النظر عن قيمتها الادبية وادراكا بأني اغفلت قصصا كثيرة ناجحة ·

١) محمد دكروب : «سداسية الايام الستة» ، الآداب ، العدد العاشر ، ١٩٦٩ ·

«القميص والطابور»

لو اردنا ان نعالج قصة رمزية نستخلصها في هـذا الصراع وتشير الى ما سنذهب اليه في معالجة هـذا التباين لما وجدنا خيرا من قصة زكي درويش «القميص والطابور» ·

فهو يعالج هذا الصراع الخفي الدائر في نفسية الاب وكيف انساق هذا الاب لمتطلبات العصر ·

فالتقليد يتمثل في قميص قديم يعبر عن السلطة الاجتماعية التي تتشبث بموروث عقائدى يتناقله الخلف عن السلف ، والقميص ايضا رمز لما ينوء به هذا المجتمع من قيود رسف بها ، واغلال كبلته بلا طائل ·

كان صاحب الاملاك يلبس هذا القميص ويسير بخيلا في الطريق الزراعي ، في يمناه هراوة اغلظ من الهراوة التي كانت مع ابيه ·

ورغم ان القميص لا يناسب لابسه الجديد فهو ممزق بحيث لا يمكن غسله وهو كريه الرائحة بحيث لا يمكن ان تطاق ، ومع هذا فقد بقي الاب محافظا عليه ويلبسه عندما سلمه الميراث ·

والتجديد يتمثل في ابنه الذى توسل الى ابيه ان ينزع القميص عنه ·

ـ ولكن هذا القميص لا يناسب

ـ هذه المرة اخرس تماما · احترم الاجداد يا حيـوان[2] ·

هذا الابن يطلب من ابيه ان يتعلم فيظن ابوه ان به مسا : «وبعدها نبتت في رأسه فكرة مجنونة · اراد ان يتعلم تأكدت ان الفتى اصيب بالجنون»[3] ·

ويقع الاب في المدينة فريسة لسخرية ابناء المدارس الذين يتهكمون عليه :

ـ من اين اشتريت هذا القميص يا عم
ـ هذا الرجل يصلح لمعلم التاريخ · من اى عصر انت يا عم ؟

والفى الرجل نفسه مطوقا حوله هذا الجيل الصاعد فاحس حياله بالوهن وكاد ان يستسلم ولكنه اخيرا يذكر اباه وجده فيندفع الى الامام مؤمنا ويقتحم الدائرة بعزيمة مستمدة من عاطفته لكن الاولاد يطاردونه · يسرع فيسرعون ، فيحس بالضعف ثانية ، وعندما وصل داره خلع قميصه وهو صامت تردد قليلا ثم القى به داخل الموقد ·

ابتسم بالبداية وهو يشاهد النار تأكله ولكنه عندما رآه وقد تحول الى رماد قهقه بصورة غريبة · فرح الابن لهذا التصرف المفاجىء وبـدلا من «علقه» منتظرة وحرمان من المدرسة وجد نفسه في موضع حنان من الاب ·

ها هو الاب بعد ان حرق القميص المشؤوم بكل ما يحمله من اتصال بموروث لا مبرر في الحفاظ عليه تتغير نظرته الى الحياة والى ولـده فيقول لابنه : «سأرسلك الى المدرسة في المدينة» ·

× × ×

هذه قصة بارزة تشير الى هذا الصراع الذى يعيشه المجتمع العربي في اسرائيل خاصة والمجتمع العربي عامة وهي واحدة من القصص التي كتبها اصحابها عن ذاتية خاصة مدفوعين بتيارات التغيير بايجابية وسلبية، فاعتمدوا على عنصر البيئة والجو واعني بها القوى ومجموعة العوامل الثابتة والطارئة التي احاطت بمجتمعهم ككل ، واحاطت بهم كافراد ، واثرت على تصرفاتهم ووجهتهم وجهة معينة ·

لسنا نفترض في هذه القصة او مثيلاتها ما نضعها على المستوى الذى نفترضه من معاناة حقيقية لجوهر الحياة، فيندر ان تجد القصة المشفوعة بالتحليلات النفسية او الدراسات الشخصية او المتعمقة في السلوك والاجتماع ·

لننظر الى الصورتين المختلفتين نحاول ان نجد الصلة بينهما ونربطهما بالقصة المحلية بحالات اجتماعية وظروف خاصة · لا يهمنا تاريخ كتابة القصة بقدر ما يهمنا تمثيلها لفترة زمانية ·

القرية بـين مرحلتين

من الصعب تحديد الزمن الذى يساير المجتمع فيه تغييرا · فاى تغيير لا بد له من استعداد مسبق وتمهيد لكنا نجرؤ ان نقول هنا وفي هذه المعالجة ان الحد الفاصل البارز هو بعد قيام الدولة ببضع سنوات ·

كانت حياة القرية كما صورها كتاب القصة قاسية مريرة فيها تناقضات طبقية : اقطاعي يشتغل وفلاحون مستغلون راضخون تحت مشيئته ·

٢) زكي درويش : «القميص والطابور» **الشـرق** ، آذار ١٩٧١ ، ص ٣٣ ·

٣) ن · م ·

وبيت الفلاح بسيط هو يسكن «في جحر تحت الارض بلا منافذ او شبابيك لا يعرف الشمس ولا الهواء النقي · وما دمنا في سيرة البيت آسف : الجحر فيجب ان اقول لك ان مساحته هي اربعة امتار طولا وثلاثة وبضعـــة سنتمترات عرضا ، سقفه اخشاب معوجة مشققة بلغت من العمر عتيا»[4] ··· «ويغطي قسم من ارض هذا الجحر حصير فقدت معالمه الاصلية بين كثرة رقع الخيش التي عالجته بها امي لتطول حياته ، وفي وسط الحصـــير ينتصب كانون نار صنعته امي من اللبن وبجوار الحصير طاولة صغيرة عليها ما يشبه الفراش مغطى ببطانيـــة سوداء مرقعة برقع متنوعة الالوان وفي الجهة المقابلة طاولة اخرى احدى ارجلها مكسورة هي مطبخ دارنا ! عليها ثلاثة صحون وملعقتان ونصف !» ·· «وبجوار الطاولة قدر سوداء تراكم عليها السناج اما الحمـــام (نعم الحمام) فهو بلوعه بجوار عتبة الجحر» ·

وفي مثل هذه الظروف السكنية كان يعمل الفلاح بنشاط بين الغلس والغسق صيف شتاء ، لا يعرف الراحة الا في ايام معدودات في المواسم والاعياد وايام المطـــر ·

«كان الكل يعمل جادا ·· حتى يتم له جمع كفايته السنوية من المزروعات الشتوية والصيفية ، وطبعـــا الزيت والزيتون ولم يكن احد يغفل عن قوت دوابـه فكان الكل يجمع حاجتها السنوية من التين والكرسنة والجلبانة»[5] · فاذا تم ذلك «كان يشعر براحة كبرى · كان يشعر كانه ملك»[6] ·

يقتل الفلاح وقته في ليالي الشتاء دون ان يحمل نفسه عناء التفكير الجدي ، فلياليه لعب ورق · ومن ينال حظوة يشارك الشيوخ في جلساتهم ويصغي اليهم وهم يرددون القصص ويستعيدون ذكرياتهم او تفشاتهم البريئة وغير البريئة في بعضهم ·

«ولكن امتع مجالس الشتاء كانت تلك الحلقات التي يجتمع فيها الشيب والشباب نساء ورجالا ليصغون الى بطولات ابو زيد الهلالي ودياب بن غانم»[7] · فكانت هذه الحكايات تفعل في نفوسهم فعل الاساطير ·

في الصيف كان اللعب على البيادر فوق عرمات القش وبعد السهرة يسطو بعضهم على مقثاة او كرم فيحتال

٤) محمد علي طه : «متى يعود ابي» ، **لكي تشرق الشمس** ، ص ٥٣ ·
٥) الياس عوض : «ابو جعران» ، **البئر المسحورة** ، ص ٩ ·
٦) ن · م ·، ص ١٠ ·
٧) ن · م ·

اسعد على ابي جعران ويختلق حكاية الغول التـــي اخافته فيهرب الحارس ابو جعران ويقوم اسعد بتنظيف المقثاة من الخيار[8] ·

تمر الايام باهتة اللون «تجر اقدامها دون ان يحدث شيء يستحق الذكر»[9] وربما كدر صفوها جباة الضريبة وموظفو دائرة الاراضي والمختار[10] ·

والقرية كما قلنا فيها طبقتان اجتماعيتان متفاوتتان: طبقة السادة وطبقة الفلاحين · فزيارة الوجهاء والمختار بركة للبيت ولكنه مع ذلك خراب ، بركة لان هذا الزائر انسان كبير يتملق اليه الجميع[11] له الشرف والصولة، وخراب من ناحية سياسية[12] او اقتصادية[13] :

> يقوم صاحب العزومة لينبش جميع الصناديق والبقج بحثا عن نصف رطل من الارز ليحضـــر العشاء لابن الزعيم ثم يذبح شيخ الدجاجات لابن شيخ البلد حتى ليلوح لعابر السبيل ان بالدار عرسا او جنازة[14] ·

ولا تخلو القرية من اصحاب الحرف الحرة · كان ابرزها التجارة · يخرج الواحد منهم «ليلحق السوق ويبيع بافضل ثمن ، فكان لهذا يسير خلف حماره حافي القدمين ولا يضعها في الحذاء العجوز الا عندما يبلـــغ طريق السيارات المعبد المؤدى الى المدينة»[15] ·

هذه الصور مالوفة في القرية لكن يد التغيير اخذت تعمل دائبة وبنشاط · فيقوم الابناء ببناء دار جديدة والامر لم يكن في بدايته يسيرا ، فقد نظر الاب بعينين ملؤهما الحقد الى اكوام الرمل والحصى المعدة لبناء الدار الجديدة «واخرج ولاعته لكي يتفادى السقوط في الحفر المعدة لارساء قواعد البناء المشؤوم»[16] ·

وغضب الاب يعود الى قطع الكرمة التي شاء «المهندس» ان تقلع حتى يكون البناء مربعا ، هو يرى في هـــذه الكرمة رمزا للحفاظ على ما يملك ، رمزا لسلطته الابوية

٨) ن · م ·، ص ١٦
٩) عطا الله منصور : «صراخ في القفص الـــذهبـــي» ، **البئـر المسحورة** ، ص ٧٣ ·
١٠) محمد علي طه : «فرش صالح» ، **سلاما وتحية** ، ص ٤٤ ·
١١) محمد علي طه : «متى يعود أبي» ، **لكي تشرق الشمس** ، ص ٥٢ ·
١٢) ن · م ·، ص ٥٣ ·
١٣) مصطفى مراد : «انتقام العذارى» ، **الخيمة المثقوبة** ، ص ٣٩ ·
١٤) ن · م ·
١٥) مصطفى مراد : «وفيات الاعيان» ، **البئر المسحورة** ، ص ١٤٦ ·
١٦) زكي درويش : «الكرمة لا تموت» ، **شتاء القرية** ، ص ٦٣ ·

لذلك فهو يصر كل الاصرار الا تقطع حتى ولو لـــم يقم البنـــاء ٠

لكن البناء يقوم شامخا تحت ضغط والحاح مـــن الابناء وما تلبث البيوت الحديثة ان تتسلق جبال القرية «شبيهة بالعمارات اليهودية»[١٧] ٠

× × ×

اخذت القرية تغير من مظهرها عندما خرج الشباب الى مرافق العمل في المدينة ، تركوا الزراعة التي لـــم تكن تسد رمقهم فانبهرت ابصارهم لهذه الحياة التـــي لم يألفوها ، رأوا حياة ديمقراطية تسود ابناء الشعب الاخر فلا سيد ولا مسود ، ثم رجعوا الى القرية وقـــد تفتحت بصائرهم وما عادوا يستسيغون ان يستخدموا لسيد فتقابل هذه الحركة التحررية ، وهذا الانطلاق ، بشيء من الانكار عند العوائل المتباهية بحسبها ونسبها:

ان عائلتنا (آل الجليل) معروفة في المنطقـــة بكرمها ، وفي القضاء ببطشها وفي القرية بسيادتها المطلقة ٠ لقد كنا حتى الامس القريب نستخدم جميع ابناء عائلة الحطاب في اراضينا الشاسعة وهل يعقل اليوم ان يقوم احد ابناء هذه العائلـــة بشتم عائلتنا ؟[١٨] ٠

وطبيعي ان تثور العواطف ويقع الصدام بين افراد العائلتين ولكن بدلا من استعمال القوة وسيطرة الطبقة الاقطاعية تأتي قوات من الشرطة لتأخذ العشـــرات الى التحقيـــق[١٩] ٠

قلنا ان الكثير من السكان خرجوا الى العمل فلم يعد حتى للمختار سطوة او هيبة وحتى ابو الحمولة تمرغت هيبتـــه :

«آه على ايام عزك يا ابو الحمولة ! يا عمي الوقت تغـــير»[٢٠] وتغيير الوقت بالنسبة له يتجسد في ضعفه ازاء غريمه فالقانون يحمي هذا الغريم :

« اذا ضربتاه هيه نعلق فيها وننام سنة في بيت خالتنا هي الحكومة امه والا ابوه ؟ اى والله في ايام قبل كان الواحد بكسر امثاله لا حكومة تسأل»[٢١] ٠

ولا يعرف ابو الحمولة كيف يتصرف غير ان يرثي لنفســـه :

«تفو ع الوقت اللي صار ازعر ابن هاملة يبهدلك يا ابو الحمولة»[٢٢] ٠ هو مصر على لقبه ابو الحمولة وليكن ما يكون ، يسأله الشيخ حامد عن سر غضبه فيجيبه :

«الدنيا تشقلبت يا شيخ حامد ٠ هذا الوقت مـــا يحترم الشايب ولا اللي ع حافة قبره»[٢٣] ٠

والمختار كان يمثل سلطة لكن اثره اخذ يتضاءل تدريجيا فسكان القرية يعرفون ان المختار لم يعد لـــه تلك القيمة وربما غالى بعضهم في نظرتهم اليه فهـــو «كالليمونة المعصورة والاصح كروث البقر في شوارع وازقة القرية لا يثـــير اهتمام احد لان الطوابـــين انقرضت»[٢٤] ٠

هذه بعض ملامح القرية والتي برزت في صورهـــا الجديدة بعد ان مرت عليها يد التغيير ٠ كان هذا التغيير وما يزال في القرية يقع في تناقضات بين القول والتنفيذ، يدعو بعضهم الى نبذ العائلية وترك المعتقدات البالية ولكنها ما زالت في النفوس تختفي لتبدو بحدة اكثر ثم تعود وتختفي لتظهر بشكل آخر ٠

ومهما يكن من امر فانالقرية واهلها تغيرت مفاهيمهم ٠

واذا كان بعض التردد في نقل اسباب الحضارة عند اهل القرية فان قصتنا المحلية قلما سجلت هذه الهواجس التي دارت باخلاد اهل القرية وهـم يستقبلون امورا جديـــدة ٠

× × ×

الشباب المثقف في القرية

كان من الطبيعي بعد نشر التعليم الالزامي والمجاني ان تكون كادر من المثقفين الذين تلقوا الصدام الاول بينالتقليد والتجديد ٠ وبعبارة اخرى بين الآباء وبـين ارائهم الذاتية ، فمنهم من خضع لسلطة الاب ومنهم من تمرد بتطرف ٠ واذا كان من المثقفين من يمثل المرحلـة الانتقالية في قصتنا المحلية فانه لن يكون متمردا رافضا ولا قابـــلا ٠

فهذا ابن مثقف يجد نفسه ممزقا ولا يهتدى الى حل امام تصرفات ابيه الغريبة يشعر نفسه انه رقيـــق في ارض ابيه فيقوم الى شهادة خضورى الزراعية التـــي تزين صدر غرفته يمزقها لانه لم يعد لوجودها معنى ولا قيمة «وما لرقيق الارض حاجة بها»[٢٥] ٠

١٧) محمود عباسي : «القزم» ، **البئر المسحورة** ، ص ١٢٨ ٠
١٨) «صراخ في القفص الذهبي» ، ص ٥٩ ٠
١٩) ن ٠ م ٠، ص ٦٠ ٠
٢٠) محمد علي طه : «علقة سوداء» ، **سلاما وتحية** ، ص ٧٣ ٠
٢١) ن ٠ م ٠

٢٢) ن ٠ م ٠
٢٣) ن ٠ م ٠ ص ٧٣ ٠
٢٤) **سلاما وتحية** ، ص ١٦ ٠
٢٥) الياس عوض : «الضحية» ، **البئر المسحورة** ، ص ٢١ ٠

ومع اعتبارنا تصرفه هذا غريبا الا ان دراسة سيكلوجية فقط تستطيع ان تسبر غور هذه الفعلة ، وايا كان التفسير فلا شك ان هذا الابن قد ساير اباه ونهج ما انتهجه ٠

واذا كان تململا من الابن في هذه القصة فسنرى بعد حين حيرة الابناء ازاء الاب المتعصب الذى يتساءل عن كلمة مودرن التي يرددونها[26] ٠

ومن المثقفين من يتمرد اطلاقا بعد ان اعيته الحيلة فهذا محمد علي طه في «كتاب في القرية»[27] يحدثنا عن مصير كتاب ، واغلب الظن انه كتابه الاول الذى قابله سكان قريته باستهجان ٠

تبدأ الجلسة بالحديث عن الدخان كعادة بعض الفلاحين الذين يرجعون الذكريات : «سقالله ورق الشام» ٠

والقرية ببساطتها تحب ابناءها وخاصة المتعلمين ٠ ها هم يستمعون الى ابن بلدهم باعتزاز وقد التأموا في حلقة ٠ ظنوا بادىء ذى بدء انه سيحكي لهم كما كان يحكى لهم عن عنتر وابي زيد الهلالي والخليفة زيناتي وغيرهم ، وعندما يخبرهم الكاتب عن فحوى كتابه وانه يحكى عنهم بالذات ملأوا الديوان ضحكا وفتل ابو العبد شاربيه وتململ ابو عمشه في قلب عباءته المرقعة:

«عنا يا استاذ ؟ اي بلاش نكت ٠ احنا مين؟

يا ريت يصير ابو عمشة بطل مثل ابو زيد ! وقال ابو عمشة اتق الله يا شيخ فال الله ولا فالك احنا أكلنا زوادة بطنك بدك تقطعنا مثل بني هلال يسوى ع العدا» ٠

ويفشل الاستاذ في شرح وجهة نظره وفي اقناع هذه الجلسة ويبقى ضحكة امامها ، فيغضب ويخرج محتجا٠

هنا نلاحظ هذا التمرد الذى كان طبيعيا في حياة المثقف في القرية يرى بأم عينه مدى الهوة والتناقض بين ما يعتقد وبين ما يتمثل امامه على مسرح الحياة ٠

والابن في قصة «القميص والطابور» هو الذى تمرد ايضا ضد ارادة الاب وضد الحفاظ على القميص الذى يرمز الى التعصب الاعمى بالاضافة الى تمثيله للسلطة الاجتماعية القائمة ٠ كان هذا الاب عندما سلم الميراث الى ابنه يذكر حصيلة العمر الطويل : «هراوات ترتفع ورؤوس تشنق ، سكاكين تلمع ، ودماء تسيل في وهج الشمس المحرقة ، ومطاردات يتم اكثرها في ليل دامس، وعمليات مشبوهة شهدتها النجوم فقط»[28] ٠

فهذه العمليات واضرابها كانت في اواخر الاربعينات اشياء طبيعية لكن الابن لا يؤمن بهذه الاساليب ويقف حجر عثرة امامها ويقف معه كذلك ابناء الجيل الصاعد الذين حدقوا بالاب وارغموه ان يغير موقفه فيعود الى البيت ويلقي بقميصه ومعه مخلفات قديمة عفا عنها الزمن ٠

لم يكن الانتقال بهذه البساطة شيئا طبيعيا في تاريخ اى تطور ولكننا ازاء تغيير في المفاهيم بشكل جذرى ٠ هذه المرأة كانت لسنين خلت حبيسة فاطلقت من عقالها وهذا الدين لم تعد له تلك السيطرة وهذه العادات القديمة والخرافات اخذت تضمحل وتتلاشى ووعي الفرد نفسه شيئا فشيئا ٠

المرأة القروية

للمرأة وضع حساس في تقاليدنا ، فمع ان القرآن اعطاها فرصا للمساواة في امور دينية ودنيوية ، الا انها كانت وبتعبيرنا الشائع «ضلعا قاصرا» ، مصنع تفريخ للاولاد تعمل بشقاء طيلة النهار ٠ والويل كل الويل لامرأة لا تنجب الذكور فمن حق الزوج ان يطلقها[29] ٠

والزواج من اثنتين ظاهرة مألوفة في المجتمع القديم وها هي ام عائشة تؤكد لابنتها ان الكأس تدور عليهن جميعا :

لقد تزوج والدك علي وتزوج والدى على امي
وبنات عمك لا قبن نفس المصير ٠٠ اؤكد لك
يا عائشة انه سيؤثر في النهاية[30] ٠٠

ولعل سبب الزواج يتأتى ايضا بسبب الغنى والثراء فيقوم الزوج باقتناء هذه السلعة ٠٠

ما عسى المرأة ان تفعل وهي رهن اشارة مستعبدة تباع بالاف ويتزوجها اكثرهم سخاء ٠

يحدثنا الياس عوض في قصته «الضحية من» على لسان البطلة :

٢٦) «الكرمة لا تموت» : ص ٦٢ «القميص والطابور» ، ص ٣٣ ٠
٢٧) محمد علي طه : «كتاب في القرية» ، **البئر المسحورة** ، ص ٨٠ ٠
٢٨) «القميص والطابور» ، ص ٣٢ ٠
٢٩) محمود عباسي : «القزم» ، **البئر المسحورة** ، ص ١٢٢ ٠
٣٠) نجوى فرح : «رماده» ، **لمن الربيع** ، ص ٤٤ ٠

وابي كم توسلت اليه الا يزفني الى ابيك الهرم القذر ، وكم بكيت ، ولكنه رفض · كانت العشرة الاف ليرة اعز عليه من سعادة ابنته ، ولم تكن تحميني من ظلمه ، ولما رفضت الاذعان الى مشيئته ضربني ضربا مبرحا وهددني بالقتل والتجات الى ابيك واختليت به ذات مرة قبل عقد الكتاب وافهمته اني لا ارغب في الزواج منه ورجوته ان يطلق سبيلي ·· ولكنه نظر الى جسدي وضحك![31]

والمهر سنة غير ان قيمته لا تحدد · فالقرآن يقول «فاتوهن اجورهن» · ولا يحل للاب ان ياخذ منه شيئا الا اذا «طبن منه نفسا» لذا فاننا نلاحظ والد حسناء يضع الستة الاف كاملة امامها حسب السنة فتغتاظ وتريد لو تلقي بالمبلغ في الموقد تعبيرا منها عن غضبها للزواج العشري[32] ·

واذا كان المهر حاجة ملحة فقد ترتب على ذلك اجتهاد الشباب للحصول على المال وربما ادى الى نتيجة سلبية وهي اللجوء الى الاختلاس[33] ·

وبعض ابناء هذا الجيل كانوا يضاعفون المهر ويغلونه مدلين بذلك على رفض المصاهرة[34] · ولا زالت هذه العادة موجودة وملموسة في قرانا ·

× × ×

والزواج يتم بواسطة الخاطبة التي تنتقي للشاب عروسته وغالبا ما يكون صدفة كزواج البطل في قصة «الوردة اليابسة» :

الم اقل لك انني لا احبها ، ولم احبها يوما · انها اصبحت زوجتي صدفة ، كنت صغيرا ، قبل سبع سنوات وافقت يوما من احلام صبيانية واذا انا زوج وبجانبي على الفراش زوجة وبعد اسابيع امحى الحلم وعرفت انيلا احبها ولن احبها وعشت سنوات من الحرمان ، من العذاب[35] ·

وظاهرة الزواج المبكر ظاهرة مالوفة في القرية · يقول مصطفى مرار : «في ايامهم كانوا يزوجون ابناءهم وبناتهم قبل ان يبلغوا الحلم كي يضموا الى الدار يدا عاملة جديدة هي زوجة الابن · تخرج معهم الى الحقل تحصد وتقطف وتعشب الارض وتبقى في البيت تعجن وتخبز وتطبخ وتكنس الحظائر»[36] ·

الحب ممنوع في القرية وان جرى فليس على عيون الاشهاد ، وما من لقاء الا ويخيم عليه جو من الخوف العنيف ففي قصة «هل تغفر له» :

وتجرأ ذات يوم وقال لها : بدنا نشوفك يا صفية · فاجاها فتضرج وجهها بحمرة الخجل والحياء وتابعت سيرها وهي تختلس النظر اليه فاردف وشفتاه تبتسمان ضراعة :

صفية مالك بترديش ؟

– دير بالك ليكون حدا شافك عمال تحكي معاي ·

اجابته وهي تتلفت حولها وجلة خائفة ·

– لا فيش حد[37] ·

وسبب خوفها هذا الاب الذى يستعد لعملية قتل ان لاحظ شبهة · الم تقتل صفية الاخرى ابنة الحاج خليل – الرجل الذى لا يفارق المسجد[32] · اما صفية هذه فتقول مرتعدة :

– «واذا عرف ابوي يذبحني ، ثم قالت بصوت منخفض حذرة مرتعشة : والفضيحة ؟» [39] ·

وتشهد الزريبة لقاءات الحبيبين حتى لا يفتضح امرهما او يحدث ما لا يحمد عقباه · ولعل تعاطي الحب بحد ذاته يدل على فترة انتقالية مبتدئة في اتجاه جديد للسهم ·

ومهما كانت الصور الانفة التي طالعناها فما زالت بقاياها في مجتمعنا في بعض القرى وفي بعض العوائل لكنها في طريقها الى الزوال وذلك بعد ان تعزز دور العامل في الحياة الاقتصادية والاجتماعية لعرب اسرائيل · اذ ان المرأة بقيت وحدها بعد خروج العامل من القرية فاضطرت ان تساهم في حل مشاكلها مع مجتمعها القريب في المجلس المحلي والمدرسة ، في العيادة القريبة ، وغيرها ، كما انها اخذت تحل خلافات معينة مع جيرانها وبهذا اصبحت المرأة صلة بين العائلة والمجتمع المحيط · وخرجت كذلك بعض الشابات الى

(٣١) الياس عوض : «الضحية من» ، **البئر المسحورة** ، ص ٢٥ ·
(٣٢) مصطفى مرار : «ستة آلاف» ، **طريق الآلام** ، ص ٨ ·
(٣٣) قيصر كركبي : «هل تغفر له» ، **البئر المسحورة** ، ص ٩٤ ·
(٣٤) مصطفى مرار : «البئر المسحورة» ، **البئر المسحورة** ، ص ١٥٥ ·
(٣٥) محمد علي طه : «الوردة اليابسة» ، **لكي تشرق الشمس** ، ص ٧٤ ·
(٣٦) مصطفى مرار : «لك مستقبلي» ، صحيفة **الانباء** ، ١٩٧١/٤/٩ ·
(٣٧) قيصر كركبي : ن · م ·، ص ٩٦ ·
(٣٨) مصطفى مرار : م · ٣٤ ، ص ١٥٥ ·
(٣٩) قيصر كركبي : ن · م ·، ص ٩٧ ·

العمل فحصلن على استقلال اقتصادى ينمو ويتدرج الى ان يصبح استقلالا فرديا ..

وتنال بعض الفتيات حظهن من التعليم اسوة بالفتيات وتتردد الدعوة الى حرية المرأة على السنة المثقفين خاصة وتقف الفتاة التي حظيت بنور العلم معززة هذه الدعوة ايمانا منها برسالتها نحو بنات جنسها .

تجد المرأة في بداية الامر صعوبات في مسيرتها الحضارية فيوسف بشارة بطل قصة «صراخ في القفص الذهبي»[40] . يكتب مقالا يدعو فيه الى تحرير المرأة : «تعالي ننبذ التقاليد التي حكمت عليك بالموت البطيء تحت اقدام المذل»[41] . وتقرأ احدى المثقفات مقال يوسف بشارة ويمر امامها شريط يسجل حياة المرأة العربية ، هذه المرأة التي تنتظر فارس الاحلام يأتي وينتزعها من القفص الذهبي ليلتقي بها من جديد في قفص الحياة المنزلية .

وكان نتيجة لهذا الاستعراض ان بعثت برسالة تشجيعية الى الكاتب تفضي بها عن عاطفتها نحو خلاص المرأة . خرجت لاول مرة الى دائرة البريد حيث تنتهشها اعين المارة كي ترسل رسالة لشخص غريب ليس بينها وبينه صلة الا هذه القرابة الفكرية التي تتحدى كل مفاهيم القرية المتعصبة .

وان كان يوسف بشارة قد هزىء بمقاييس المجتمع الذى يكبل المرأة باثقل القيود وهزىء باعتبار المجتمع رسالة فتاة الى شاب جريمة لا تغتفر فانه هو نفسه ذئب يتربص لكل فتاة باسم نصرة المرأة . اذا طريق المرأة ليست مفروشة بالورود وها هو احد المثقفين قد اساء الى حركة تحررها .

وعملية التحول مستمرة بفضل مساهمة المدرسة وقانون التعليم الالزامي للجنسين كما ان التقليد للجيران له مساهمة لا تنكر . فلولا ان تعلمت سعاد لما اقبلت سهام على التعليم . وهذا بالتالي خلق نوعا من التنافس كان خيرا وبركة على مجتمعنا .

ومجرد وجود ناد نسائي في القرية حدث جديد لا بد ان يؤدى دورا اصلاحيا . فهذه سكرتيرة النادى تطلب من السيدة نظمية ان تكون عضوة عاملة في الهستدروت توجه وتعلم وتقود لانه لا نهوض لمجتمعنا الا بتثقيف المرأة العربية والعمل هو الذى ينهض بالفتاة ويزودها بالاسلحة ضد التيارات المتعاكسة . العمل القائم على المعرفة .

ويسري حب المعرفة الى خادمة البيت . تقول لها السكرتيرة :

«هل تحسنين القراءة كما تحسنين صنع القهوة ؟ الخادمة : يا ليت»[42] .

وعندما تطلب السكرتيرة من السيدة ان تسمح للخادمة بالاشتراك في دورة تقول السيدة : «الضرر ان خادمتنا تصبح سيدة»[43] . وتنجح السكرتيرة في اقناع السيدة بالسماح لها ولا تكتفي بذلك بل هي تصر على ان يحاضر الزوج في مواضيع تحرير المرأة .

× × ×

وتستمر عملية التعلم لشجاعة الفتيات ومبادرتهن ، حتى تلتحق بعض الفتيات بالجامعة .

وتعود «جهان» الى بلدها المتواضع تحمل شهادة جامعية شاعرة انها لا تمت الى عالم قريتها بصلة هم غرباء عن روحها لانهم في عالم يسوده الحقارة والجهل «والبلدة خاملة بعيدة عن الرقي والعمران»[44] . لا تجد لها صديقة تفضي اليها مكنونات صدرها وتبعد عنها آلام الوحدة والخمول .

هي لا تستطيع ان تتجول بحرية في بلدها المحافظ ، لا تقدر ان تتنزه وحيدة في المزارع لئلا يظن بها الظنون ، فماذا عساها تفعل غير قتل وقتها وهي تستمع الى احاديث العجائز التافهة .

وتدأب ام جهان في اقناع ابنتها ان تلبس اجمل الثياب وتتحلى بالاسورة كي تتفاخر الام وتتباهى بها امام الجيران . «جهان كاملة الصفات حسناء ومتعلمة وتملك مجوهرات» . وهذا الخبر بدوره يقرب ابن الحلال .

لكن جهان تظل تشعر بخواء . ولا يسد رمقها الا النظرات التأملية الى المكتبة ، وهذه النظرات كانت فارغة النتيجة ، اذ ما قيمة الكتب ؟ العلها ستحدث ام يعقوب او ام احمد عن شكسبير او تولستوي ؟

وتتأكد جهان ان محيطها واوضاعها لا تستوعب ثقافتها وهذا من شأنه ان يخلق لها مشاكل «فالافضل

٤٠) عطا الله منصور : ن ٠ م ٠ ، ص ٥٤ .
٤١) ن ٠ م ٠ ، ص ٥٦ .
٤٢) نديم بطحيش : «النظارات السود» ، **البئر المسحورة** ، ص ٢٠٧
٤٣) ن ٠ م ٠ ، ص ٢٠٨ .
٤٤) نجوى فرح : دروب ومصابيح ، عن **سنابل في حقول الادب** ، جـ ٣ ، ص ٦٦ .

ان ترحل من هذا البلد الى بلد آخر يلائم ثقافتها» .
اذ ان القرية التي تضطهد المرأة لا تلائمها فالمرأة هنا «تقضي وقتها في الحقول وتحت اشجار الزيتون ، تحمل الحطب حينا والجرة على رأسها حينا آخر . هن يتزوجن مبكرات ، ويلدن اطفالا باختصار في جهل وفقر ومرض ..» .

ومما يعزينا في موقفها انها تحب اهل القرية في قرارة نفسها . هي تحب البساطة ، لذا رفضت فساتين التفتا والسواريه والازياء ذات الازرار والكشاكش ، فثياب الفلاحات على رأيها طبيعية اكثر .

واتفق ان كان ولي الامر انسانا واعيا يدرك ما للثقافة من حق . يدرك ان خدمة المجتمع هي الهدف الاول والاخير لكل ثقافة لذلك فقد ترك وصية لابنته : «لا يحتاج الاصحاء الى طبيب بل المرضى» .

اذا فعلى جهان ان تعمل بوصية ابيها ، ان تساهم في بناء مجتمعها المريض ، والناس لا يحق لنا ابدا احتقارهم فلهم افراحهم واشواقهم ، الا يعرفون عن نواحي الحياة الاخرى اكثر ما تعرف .

وتهدأ ثائرة جهان وتقتنع ان تبقى في القرية عاملة جادة في خدمة من هم في حاجة اليها .

واذا كانت جهان قد مرت صراعات مختلفة انتهت بها الى مواكبة مجتمعها والسير في طريق يتمشى مع ظاهرة صحية ، فان بعض الفتيات قد غالين او جنحن فامتلكن الحرية الكاملة في الحب ..

فهذه هيام تهرب مع سميح وتبرر موقفها في رسالة لامها : «لكننا يا اماه نعيش في عصر تبدلت فيه المفاهيم ولم يعد للخجل والخوف مكان في نفوسنا حتى تكبت مشاعرنا وندفن عواطفنا في سجن من التقاليد والعادات السخيفة»[45] .

الشباب والجنس

خرج الشباب من القرية التي تحظر الحب وتقتله في المهد ـ ان تيسر لها ـ وخلف وراءه نساء ينتظرن عودتهم نهاية الاسبوع . وبقيت الفتيات محرومات مكبوتات تداعبهن خيالات فارس الاحلام .

واستقبلت المدينة افواج الشباب بافانين الاغراء ، فمزجت بينهم وبين الفتيات الاخريات ممن يدركن معنى الحياة ..

(٤٥) نجيب سوسان : «ولكني امرأة» ، **البئر المسحورة** ، ص ١٨٥ .

فكرع هذا الشباب الجائع من حياض اللذة حتى اذا عاد عشية السبت تذمر من زوجته البسيطة التي الفى نفسه زوجا لها من حيث لا يشعر ولا يجد حرجا في ان يطلقها لو تمكن[46] .

وجد الشاب نفسه في المدينة حرا في ان ينظر الى العابرات ويطيل النظر فتثير اعصابه هذه الازياء الحديثة التي تطلع بها بنات المدينة[47] . وتثيره هذه المناظر التي يراها تحت المصابيح من فتاة تقف وقد اسندت رأسها الى كتف شاب[48] ، الى صديق وقد «علق على ذراعه فتاة شقراء»[49] . لهذا فهو يهيىء نفسه «لمعاناة طويلة في المساء»[50] . وعندما تفقد الاشياء معانيها يجلس على السرير يعرض امام نفسه صورا . واذا ما تبين للشاب ان الناس تشتري الاجسام واللحم في الازقة المظلمة[51] يجد الشاب نفسه مدفوعا للانفراد بفتاة في زاوية مظلمة او يفتش عن وسائل اخرى ينفس بها عن جوعه الجنسي .

سليم خوري يحدثنا عن اول تجربة يدخل بطله فيها ناديا ليليا : «دخلت المقهى الليلي مع صديقي عزيز وكلماته ترن في اذني مقهى من النوع الممتاز ، يمتاز بكل شيء . يمتاز بالشقفات الجميلات ذوات العيون الجائعة والاجسام الناعمة»[52] .

ومع ان عزيز تمتع واستمتع الا انه تمنى لو يستطيع الحصول على طاقية الاخفاء ساعة خروجه ، فهو قد رفض نداء عيون الراقصة ورفض ان يستدعي فتاة المقهى او ان يومىء لها لان الحفاظ على تقاليده ودينه حالت دون ارضاء شهوته الجامحة .

هذه هي بعض الظواهر الملازمة لشبابنا المنطلق الى المدينة . حياء او بعض حياء ، ثم تردد ، ثم ابتداء ، ثم اغراق . حتى وصل ابطال قصص محمد علي طه ان ينالوا الفتيات بكل وسيلة ،هم يضجون بالحياة والحيوية رموا العيب والحرام من خلف ظهورهم :

وأى شيء اطيب واشهى وادسم من امرأة في السرير .. الشرف الرفيع . الشرف الغليظ العريض عبارات جميلة .. لكن ساقيها اجمل[53] .

(٤٦) محمد علي طه : «الوردة اليابسة» ، **لكي تشرق الشمس** ، ص ٧٤ .
(٤٧) زكي درويش : «شتاء الغربة» ، **شتاء الغربة** ، ص ٧٥ .
(٤٨) ن . م . ، «الرجال» ، ص ١٠١ .
(٤٩) ن . م . ، «لحظة» ، ص ٥٢ .
(٥٠) ن . م .
(٥١) محمد علي طه : «ولدي» ، **ن . م . ،ص ٤٤** .
(٥٢) سليم خوري : «أول تجربة» ، **البئر المسحورة** ، ص ٤٤ .
(٥٣) محمد علي طه : «الجوع» ، **سلاما وتحية** ، ص ١٠٠ .

اما الذين بقوا في القرية ، وهم قلة ، فقد ظلوا يؤمنون بالتقاليد او يعملون حسبها ولكن بشكل اخف لاحتكاكهم بالشباب العامل في المدينة ، ولمسايرة العصر. فالخطبة تتم احيانا في جيـــل مبكر وحسب اتفاق سابق[٥٤] • واحيانا يتم الامر بلا اتفاق فللقربى حـــق لا يمكن انكاره[٥٥] •

ومهما يكن من امر فان القرية اخذت تنفض عـــن كاهلها هذه الالتزامات عند خروج ابنائها الى المدينة ، فاذا كان تصرف يوسف بشارة[٥٦] غير طبيعي فان لـه ما يبرره : هو كونه يعيش في مجتمع مغلق ثم ما يلبث ان ينتقل الى مجتمع مفتوح ، ويرى فيه مئات الوقائع المشابهة فينسى ان بدء الطريق يحتم عليه الامانة •

وبطل قصة «المشوهون» سعيد يبادل فتاته الحب ، هذه الفتاة التي التقى بها في المدينة • تتحول حياته الى جنس صاخب ويتعرف على جارتـــه في السكن «نادية» فيقيم معها علاقات جنسية وتسعى هي الى هـــذه العلاقة لان زوجها العامل يقضي الاسبوع خارج المنزل ليحصل على قوت عياله[٥٧] • وهو يشعر بالقلق والضياع ويبحث عن الجسد حتى ولو مع المرأة المجنونة فـــي قبو المقبرة[٥٨] •

× × ×

الدين وتاثيره

كان من اهم دواعي العزوف عن الدين والخروج من حرمته هو هذا الجنوح المتواتر من الشباب في استقلالهم الفردي وانتهابهم الملذات • وانطلاق الشباب في رأيـي يتناسب تناسبا طرديا مع هذا الجنوح الذي اشرنا اليه•

وفي قصتنا المحلية رأينا هذا الخروج ، فبطل سليم خوري عندما يدخل النادي الليلي يعرف في قرارة نفسه ان هذا حرام وتحت ضغط والحاح من صاحبـــه يقدم على شرب الويسكي لاول مرة[٥٩] • ولكن هـــذا الشاب الذي يقوم باول تجربة يود لو اخفته طاقيـــة اخفاء بينما يصل بعضهم الى جرأة غريبة • فبطل قصة «كتاب في القرية» يتحدث امام جمهور محافظ عن الكاس والطاس لذا فان رد الفعل المتوقع شتائم تنهال عليه[٦٠] •

«يلعن الزمن • هاي كتب • الناس فسقت» •

وفي اثناء القراءة كان «ابو مهاوش» لشدة خوفه من عاقبة الكفر يقرأ سورتي الفلق والفاتحة ويمســـح جبينه براحتيه •

فاذا ما رفض الشباب نصائح الشيخ واهملوه هو واقواله قال «هذه علامات القيامة •• الفسق والالحاد والكفـــر ••»[٦١] • واذا كان تمرد بعض الشباب على الدين ملحوظا من خلال علاقاتهم الجنسية وارتشافهم الخمرة وعدم اداء الشعائر فان الخشوع ما زال ملازما كثيرا من النفوس والغيرة الدينية تعتمل في انفس الشباب كلما وقع احتكاك او خصام مع ابناء الديانات الاخرى ، ولكن هذا التعصب والتزمت اخذا يتضاءلان امـــام المحبة الشاملة والاختلاط مع ابناء الديانات الاخـرى وازاء المعرفة ان «الدين لله • والوطن للجميع»[٦٢] • ويصل الامر الى ان الدين لا يقرر علاقة حب بين اثنين[٦٣]

ولا ندري مدى صدق الصور التي ينقلها محمد علي طه : «في هذه الايام تركوا الصلاة تقريبا وفي قرى كثيرة لا تتم صلاة الجمعة فكيف بصلاة اعتيادية»[٦٤] •

لنحاول ان نربط هذا التغيير في فهمنا للدين مع تغيير وضعية المرأة الاجتماعية ووضعية الشباب وسنرى اى انفلات تتعايش معه •

الايمان بالغيبيات

تكاد لا تخلو قرية من قبر ولي تضفي عليه هالات التمجيد توقد له البخور وترفع فيه الرايات • واسمار القرية واحاديثها عامرة بالقصص المفزعة والايمـــان بالارواح وقدرة الحجاب على صنع المعجزات ، فاذا مـا استعصى على احد حل فيلجأ الى كل وسيلة لتحقيـق بغيته • فالاب يزور قبور الاولياء لمنع اولاده مـن بيع الارض[٦٥] والمرأة الخائفة تعلـــق التمائم في عنقها[٦٦] والنسوة يعملن للايقاع ببعضهن فتكتب الواحدة حجابا للكيد بالاخرى • لذا فان رسمية في قصة القزم[٦٧] تؤكد ان سبب زواج بعلها من امرأة اخرى يعود الى العجوز «الكرنيبة» ام ضرتها ، التي استعملت الحجاب والسحر حتى جذبته الى ابنتها •

٥٥) محمود عباسي : «القزم» ، **البئر المسحورة** ، ص ١٢٨ •
٥٥) مصطفى مرار : م • ٣٦ •
٥٦) عطا الله منصور : ن • م • ، ص ٥٤ •
٥٧) توفيق فياض : **المشوهون** ، ص ٣٤ •
٥٨) ن • م • ، ص ١٢٤ •
٥٩) سليم خوري : ن • م • ، ص ٤٥ •
٦٠) محمد علي طه : «كتاب في القرية» ، **سلاما وتحية** ، ص ٨٣ •

٦١) زكي درويش : «الرجل والليل» ، **شتاء الغربة** ، ص ٨٥ •
٦٢) نديم بلحيش : «السائل العجيب» ، **البئر المسحورة** ، ص ٢٠٠
٦٣) ق • قصص محمد علي طه •
٦٤) محمد علي طه : «سلاما وتحية» ، **سلاما وتحية** ، ص ١٣ •
٦٥) زكي درويش : «الارض» ، ن • م • ، ص ٢١ •
٦٦) ن • م • ، «السنديانة» ، ص ٣٨ •
٦٧) محمود عباسي : ن • م • ، ص ١٣٥ •

وعندما يسألها قريبها هل تؤمن بالسحر تتردد وتقول اؤمن ولا اومن وربما يعود هذا التردد لكونها تسكن في وادي الحليصة حيث هي قريبة من المجتمع اليهودي الذي يقل فيه مثل هذا الايمان .

ولو عدنا الى حكاية ابي جعران[68] لسمعنا اسعد وهو يحدث صاحبه عن غولية «المرشقة» الارض التي ينطرها ، يحدثه عن زعيقها ومخالبها واسنانها وشعرها الطويل المنفوش . واذا كان ابو جعران قد ابدى استخفافا اول امره فانه كان مستغربا ومستهجنا ثم ما لبث ان انقلب خائفا .

فهذه الاساطير في القرية هي التي اخافت ابا جعران وجعلته يتنازل عن صولته . ومن الاعتقادات التي ما زالت آثارها في القرية هو الشعور ان الدار مسكونة بالجن او الارواح الاخرى[69] .

وبعض الآبار تحوى اسرارا . فهذه بئر ابي زريق[70] حاكوا حولها ألغازا منها ان ارواح مئات الجنود الاتراك والالمان الذين القي بهم احياء في البئر هم سكان هذا البئر الذي لا قرار له . ويقسم لك الفلاحون انهم يسمعون الانين والشكوى يرتفعان على اعمدة من الشعاع الاحمر الى السماء .

ولم يكن بد الا ان يرسل عميد الاسرة في طلب احد المغاربة المشهورين بفك الطلاسم لكي يكشف المغربي عن مكان الكنز الذي اخفاه اجداد الاسرة الاول .

ويبقى الامر لغزا والبئر احجية حتى يعود الى القرية شرطي مثقف لا يؤمن بخرافة البئر ويقف متحديا زنزانة الجهل التي حشر بها فلاحو قريته .

والزوجة في قصة «السنديانة» لزكي درويش تحدث زوجها عن احلام غريبة : شيوخ بثياب بيضاء وعمائم خضراء ، طوال القامة ، نحاف الجسم . ويكاد يقع الزوج المثقف اسيرا للهلوسة لكنه بالتالي لا يملك الا ان يتناول عود ثقاب ويرميه مشتعلا في احضان السنديانة ذات القصص الاسطورية المريعة :

بقيت السنديانة المحروقة مدة من الزمن .
ثم تسابق الناس في ايام الشتاء لاخذ ما تبقى من ساقها وجذورها لمواقدهم وهم يسخرون من الولي الذي لم يثر واختفى اسمه من افواههم الى الابد[71] .

68) الياس عوض : «ابو جعران» ، **البئر المسحورة** ، ص ١٤ .
69) «السنديانة» ، ص ٣٥ .
70) مصطفى مرار : «البئر المسحورة» ، **ن . م .** ، ص ٣٥ .
71) «السنديانة» ، ص ٣٦ . وقارن بذلك قصة الطيب صالح : «دومة ود حامد» .

الارتباط بالارض والشعور بالغربة

كانت الاحداث التي أدت الى قيام الدولة شيئا هائلا في نفسية العربي ، وجد نفسه منقطعا لا يعرف هويته ولا علمه ، ولبست القضية لبوسا مأساويا في نفسيته :

هناك في الجليل قرى مهدمة صامتة تحدق حجارتها بالمارة لتروى مأساة شعب مشرد لاجىء ... لا يزال سكانها ضمن الحدود وقد بيعت قراهم واراضيهم وقد تسنى لبعضهم ان يكونوا اجراء في اراضيهم[72] .

فهذا الاجير في ارضه يشعر ان ارضه جريحة وانها تئن وعندما تحاول ان توقفه زوجته على الواقع وان هذه الارض ليست له يطردها من امامه .

ونتيجة لمصادرة الاراضي خرج الكثيرون الى العمل في المدينة :

«اما اليوم فابو الحمولة بلا ام .. بلا ارض بلا دجاج وجاء ليعيش في المدينة مع حشمه واولاده . محل ما ترزق الصق»[73] .

ثم ما لبث الفلاحون ان استجابوا عمالا في المصانع والمزارع اليهودية ينتابهم خلال احتكاكهم باليهود شعور بالنقص بحق او بغير حق : «... عربي وتطالب الناس ان يتكلموا بأدب»[74] ، «ان لوننا احيانا يشقينا في بلدنا»[75] .

في «سداسية الايام الستة» نلمح عدم الارتياح او القلق الذي يعانيه العربي هنا : «فجلة» نفس عن غيظه عندما نفس عجلة سيارة البوليس[76] . والمدرس الثانوي ينكر كل علاقة مع صديق او قريب مشاغب على السلطة خوفا على لقمة عيشه[77] . والصديقة الحيفاوية تقول «انني اشعر انني لاجئة في بلاد غريبة»[78] .

ورغم هذا الشعور الملازم بالاغتراب فقد ظلت طائفة من الناس داعية الى سلام حقيقي . الى وئام يجمع بين شعبين جمعهما وطن واحد . ولكن هؤلاء بالذات كانوا موضع شك احيانا وموضع اهمال آنا .

72) نجوى قرح : «اجير في ارضه» ، **لمن الربيع** ، ص ٨١ .
73) محمد علي طه : «علقة سوداء» ، **ن . م .** ، ص ٧٨ .
74) **ن . م .** ، ص ٥٣ .
75) **ن . م .** ، ص ٥٥ .
76) أميل حبيبي : **سداسية الايام الستة** ، ص ٥٧ .
77) **ن . م .** ، ص ٦٨ .
78) **ن . م .** ، ص ١٠٧ .

عواطف حسين

نجيب محفوظ : اتمنى ان اكون ن٠م٠ الاخر

« بالضبط ٠٠ ليس في استطاعتي ان احدد على وجه الدقة متى نشات عندي الرغبة في الكتابة ٠ ولا استطيع ان اذكر ببساطة تاريخ اول مرة امسكت فيها بالقلم لاكتب قصة او اسطر خواطر شخصية او ادبية ٠ كل ما استطيع ان اقرره في هذا الصدد ان الرغبة في الكتابة كانت موجودة عندي من زمن بعيد حتى قبل تبين دوافعها » ٠

لقد حاولت مع نجيب محفوظ العثور على نقطة البدء في كتاباته ولكن بعد حوار طويل معه لم اخرج باجابة تزيد عن هذه السطور ٠

واديب مصر الاول في الرواية الطويلة والقصة القصيرة على السواء له قصة طريفة مع المثابرة والصبر والعناد ٠ فهو يحكي كيف عانى في بداية حياته الكثير من ازمة النشر وكيف عانى اكثر من ازمة الاهمال ٠ كان يكتب ولا يجد صدى لما يكتبه ٠ ومع ذلك واصل في اصرار ٠

ويقول نجيب محفوظ : كنت استمر دائما دون يأس رغم اعراض الناشرين ٠ اتعرفين لماذا ؟ لقد اعتبرت الفن حياة لا مهنة وحصرت اهتمامي بالانتاج نفسه وليس بما وراءه ٠٠ كنت اكتب ٠٠ واكتب ٠٠ لا على امل ان الفت النظر الى كتاباتي ذات يوم فذلك لم يدر بخلدي ولو لحظة واحدة ٠ كنت معتقدا انني ساظل على هذا الحال دائما ٠ اتعرفين عناد الثيران ؟ انه خير وصف للحالة النفسية التي كنت اعمل بتاثيرها ٠

قلت لابن الارض الطيبة : اعرف انك نشأت فعلا في « بين القصرين » فهل نعتبر الصورة التي قدمتها في ثلاثيتك صورة للحياة التي كانت تعيشها اسرتك ؟

ويبتسم نجيب محفوظ ابتسامة اعتقد انها تأثرت كثيرا بدراساته الفلسفية ويقول :

ـ الصورة فيها شيء من الواقع ٠ ولكني لا اقرر ان كل ما جاء في الرواية صحيح فالرواية غير التاريخ٠ والرواية في النهاية عمل فني يستمد عناصره من حقائق الحياة ليعيد خلقها وليستخدمها لاغراضه الفنية ٠

● « الزنـديق » ●

ـ وهل احببت حياتك في « بين القصرين »

[] من غير كلام ٠ لقد احببت هذه الحياة البسيطة الاصيلة من كل قلبي ٠ ولولا انني اجبرت على تركها لما تركتها ابدا ٠٠ كنت في السادسة من عمرى حين تركت اسرتي والحي ٠٠ ولم يكن في يدى ما اصنعه من اجل التمسك بالبقاء ٠ فمن كان في مثل سني لا يعمل له حساب ولا يؤخذ له رأي ٠ كل ما استطعت ان افعله هو انني لم انقطع عن جذوري كنت دائم التردد على الحي كزائر ٠

ـ ولكننا نجد وصفا دقيقا لحياة الاسرة في « قصر الشوق » و « بين القصرين » و « السكرية » فكيف استطعت ان تحقق ذلك وانت تقول انك غادرت الحي في سن صغيرة جدا ؟

[] هذا يرجع الى ان السنوات الاولى من حياة الانسان تستوعب الحياة بقوة كثيرة فكل شيء يكون موضع اكتشاف للطفل الصغير ٠ هذا بالاضافة الى ان صلتي لم تنقطع بالحي ابدا ٠

ـ واسرة كاسرتك الم تمانع في اشتغالك بالادب ؟

[] الفن والادب لم تعترف بهما اسرتي جديا ٠ بل كان من النشاطات المشبوهة في اسرتي وفي البيئة كلها٠ اولاد عمي من بينهم الدكتور والمهندس ورجل القضاء والضابط واتجاهي نحو الادب يعتبر انحرافا عن خط الاسرة كلها والبيئة ايضا ٠ ولكن التيار المضاد لحسن الحظ لم يكن تعسفيا ٠ صحيح ان والدى ناقشني في اول الامر والاسرة كلها حاولت ان تغير موقف « الزنديق » ولكني في النهاية وبعناد الثيران كما قلت لك من البداية استطعت ان اشق طريقي على مسؤوليتي ودون مقاومة جدية ٠

- من هم الكتاب الذين تعتقد انك تاثرت بهم ؟

[] تتلمذت على ايدى طه حسين والعقاد ومحمد حسين هيكل وسلامه موسى والمازني وتوفيق الحكيم كما قرأت وتاثرت بمحمود تيمور ويحيى حقي ٠

- باعتبارك روائيا قدمت معظم اعماله على الشاشة وعلى خشبة المسرح ، الا تدخل احيانا لدى المخرج في اختيار الشخصيات المناسبة ؟

[] انا لا اتدخل الا بالقدر الذى يتطلبه الموقف ٠ انا اترك عمل المخرج للمخرج وان كانت لي بعض الملاحظات اقولها اذا طلب مني ٠

- والسيناريو الا تكتبه احيانا ؟

[] لست كاتب سيناريو ٠ انا اعد الروايات الادبية للعرض السينمائي فقط ٠

- وقصصك التي قدمت على الشاشة ٠٠ هل انت راض عن الطريقة التي قدمت بها ؟

[] انا انظر للمسالة نظرة موضوعية واعتقد ان الادب سابق على السينما والنهضة الادبية وتقدمه عن النهضة السينمائية ٠ ومن ثم فان السينما لا يمكن ان تحظى الا في حدود امكاناتها ٠ اقصى ما يرجى منها ان تعطى قدرا لا باس به من العمل للجماهير التي لا تطلع على العمل المكتوب ٠

- وهل تعتقد ان السينما المصرية تعاني من ازمة في القصص ؟

[] لا اعتقد ذلك فالكتاب والحمد لله كثيرون ٠

- اذن ما رأيك في اعادة اخراج واعادة تصوير وتمثيل بعض الافلام القديمة التي قدمتها الشاشة المصرية ؟

[] طبعا السينما في كل العالم تقدم الجديد ولها رجعات الى القديم ٠ وهذه الرجعات يبررها انها تحب ان تقول شيئا جديدا فقد يكون الفيلم قدم اسود وابيض ويراد تقديمه فيلما ملونا او ان يكون الفيلم قدم صامتا ويراد تقديمه فيلما ناطقا ٠ انا اقصد ان اعادة تصوير الافلام القديمة وتمثيلها لا بد ان يكون هناك ما يبرره تمشيا مع التقدم الفني في التعبير واللغة والالوان ٠٠ اما ان الافلام يعاد اخراجها وتمثيلها كما هي من غير مبرر فهذا امر لا اوافق عليه وخصوصا انه من الممكن طبع طبعات حديثة للافلام القديمة وتقديمها ٠

- في السينما العالمية عموما نجد ٥٠ ٪ افلام جنس و ٢٥ ٪ افلام عنف و ١٥ ٪ فقط افلام هادفة ٠ كيف تفسر ذلك ؟ وما الموقف الذى ينبغي ان تقفه السينما المصرية منها ؟

[] الجنس اذا عولج معالجة جدية فيجب اعتباره من الموضوعات الجدية خصوصا انه نشاط انساني لا يمكن تجاهله في الفن او التربية او الدين او في اى وجه من وجوه الحياة ٠ واعتقد ان الفن اذا قصد به الاثارة فانه لا يعتبر فنا على الاطلاق ٠ ولا يجوز ان ندخله ضمن الحديث عن الفن ٠ وانا اعتقد ان التكاليف على الموضوعات الجنسية في اوروبا وامريكا تحدث لاغراض تجارية لا يمكن اغفالها ٠ كما ان هناك سببا اخر لتقديم الجنس في معظم الافلام الغربية وهو ان الجنس في اوروبا وامريكا اصبح شيئا عاديا وجزءا من الحياة اليومية وتصويره في الافلام يجيىء معبرا عن هذه الناحية التي لم توجد في بلادنا بعد وقد لا توجد ابدا٠

ونحن في مصر يجب ان ننظر الى هذه الموجة الجديدة من الافلام نظرة فنية فنقبل ما هو جاد ونرفض ما هو تجارى ٠

- الا تعتقد ونحن نعتبرك اديبا مؤرخا انه كان ينبغي ان تؤرخ للفترة التي نعيشها بعد النكسة ؟

[] انا كتبت بعد النكسة «تحت المظلة» و «حكاية بلا بداية ولا نهاية » و « شهر عسل » و « حب تحت المطر » و « المرايا » وانا الان مشغول بكتابة رواية طويلة عن فترة ما بعد النكسة ستظهر قريبا باذن الله٠

- وما رأيك في الاهتمام الزائد في اسرائيل بروايتك الاخيرة « ثرثرة فوق النيل » التي قدمتها السينما ؟

[] اسرائيل ادعت ان « ثرثرة فوق النيل » تعبير عن المجتمع المصرى بعد النكسة وانا اؤكد واقول انها كتبت قبل حرب ١٩٦٧ ٠ واذا كانت تاريخا فهي تؤرخ لفترة اخرى سابقة على حرب يونيو (حزيران) ٠

انا كمصري غيور على وطني وسمعته واحب ان الفت نظر كل مواطن عربي الى الحرب النفسية التي تحاول اسرائيل ان تشنها على العرب وعلى مصر بالذات مستغلة بذلك كل شيء ممكن ان يقع في يديها مع تشويه لحقائق الامور ٠٠

- هل توافق على تفرغ الاديب ؟

[] دون شك فتفرغ الاديب - خاصة اذا كان جادا هادفا - يوفر عليه عناء البحث عن لقمة العيش ٠واعتقد

ان اسعد الادباء هم ادباء الدول الاشتراكية فالدولة ترعاهم وتقدم لهم كل التسهيلات المادية والادبية الممكنة .. **صحيح انهم قد لا يجدون حرية التعبير كاملة** ولكن التسامح وسعة الصدر وتوفير المناخ المناسب كل ذلك يجعلهم اسعد من غيرهم من ادباء الدول الاخرى ..لا شك ان الاديب المتفرغ اقدر على تثقيف نفسه وعلى التنقل والمشاهدة والتجربة بعكس الاديب الموظف .

ـ نود ان نعرف شيئا عن علاقتك بالقراء وعلاقتك بالنقـاد ؟

[] تربطني صلات ودية بعدد كبير من القراء على امتداد رقعة العالم العربي عن طريق الرسائل وبعضهم ينتهز فرصة وجوده في القاهرة فيلتقي بي . وصدقيني ان لحظات لقائي بقرائي ولو من خلال الرسائل هي اسعد لحظات عمري والطريف ان بعض هؤلاء القراء على مستوى النقاد . ومن ثم فانني استفيد احيانا من ارائهم ومن نقدهم لاعمالي .

اما النقاد فصلاتي بهم طيبة . اغلبهم اصدقاء فانا لم اسمح اطلاقا لعلاقتي بهم ان تهتز بسبب نقد مضاد. واعتقد انني ما دمت قد حملت امانة القلم فانا عرضة للنقد والاستهجان ..

ـ واذا كتبت ..

[] اغلق على نفسي باب حجرتي واهجع في صومعتي في هدوء اكتب ما يؤرقني .

ـ وهل تعتبر نفسك نجما ؟

[] لا . فالنجم هو الذى يكتسب قوة جاذبية جماهيرية عامة من خلال ممارسته لفن شعبي كالغناء والتمثيـل .

ـ في رواياتك قدمت شخصيات كثيرة لصحافيين وكان قلمك قاسيا عليهم فهل صادفت فعلا مثل هذه الشخصيات في الوسط الصحافي ؟

[] ما من صورة خيالية الا ولها اصل حقيقي يختلف عنها كثيرا او قليلا . ولكن ليس كل شخصية في الرواية يراد بها ان تكون نموذجا لفئة .

● انا غير متشائم ●

ـ ما هو الامل في نظرك ؟

[] الامل يعني التعلق بغد افضل .

ـ والانتهـازي ؟

[] هو من ينال حق غيره بسبيل غير مشروعه .

ـ هل تؤمن بالقدر ؟

[] اعلم علم اليقين انه تحدث اشياء بعيدة عن ارادة الانسان ولكني لا اؤمن بانها كانت مكتوبة عليه كتابة لا مفر منها .

ـ وحكمة الزمن التي تؤمن بها ؟

[] اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لاخرتك كانك تموت غدا .

ـ هل انت متفائل ؟

[] اعتقد انني غير متشائم .

ـ ما رايك في المرأة ؟

[] المرأة توحي لي بالحب ورسالة الحياة الخالدة .

ـ وبماذا توحي لك ام كلثوم ؟

[] بالطرب والعظمة الشخصية .

ـ وسيد درويش ؟

[] عبقـرى .

ـ وعبد الوهاب ؟

[] الحانه عذبة ذكية .

ـ فـيروز ؟

[] الحلم والحنان .

ـ ومن الممثل الذى يعجبك ؟

[] نحن اغنياء بالممثلين القادرين امثال يوسف وهبي ومحمود المليجي ومحمود مرسي وعماد حمدى وغيرهم. يكفي اننا صدرنا للعالم ممثلين عالميين هما عمر الشريف وروبرت حسين .. وانا لا اعتقد ان ارتقاءهم الى المستوى العالمي جاء بمحض الصدفة .

ـ ولو لم تكن نجيب محفوظ روائي مصر الاول ، ماذا كنت تحب ان تكون ؟

[] نجيب محفوظ الاخر الدكتور نجيب محفوظ .

محمود كناعنة

الادب الشركسي (٣)

القصة والمثل

اضافة الى قصص البطولة التي كانت ترافق دائما الاشعار البطولية التي يرويها القصاص في مناسبات خاصة ، احتوى الادب الشركسي قديما وحديثا على الكثير من الادب الخاص بمعظم شعوب الشرق • كذلك على القصص القروي الذي يتحدث عن كل ظروف الحياة واسباب الرزق والمعيشة واعمال السكان الذين يعتمدون على الزراعة • فهناك مثلا قصص عن اعمال النسيج والحياكة والرعاية والحصاد والاعياد الخاصة بالمواسم والاعياد المختلفة • ولعل اهم ما يميز هذا الادب او هذه القصص بشكل عام انها اولا وصفية تتحدث عن طراز معيشة السكان والقبائل في تلك الازمنة الغابرة ، وانها **ثانيا** خالية من كل حديث عن غش او فساد خلقي او حتى عن سرقات لصوصية بمعنى انها صادرة عن مجتمع تقليدي شديد التمسك بمكارم الاخلاق تمسكا يمنع تسرب اي ذكر للفحش وسوء الخلق •

وقد يكون من المناسب هنا ان نذكر مثلا بان ادبهم القصصي هذا تحدث عن امم قديمة كاليونان والرومان والروس • وبعد ذلك الترك والفرس وغيرهم • كذلك على سبيل المثال فان كثيرا من قصصهم مشهور عند الامم الاخرى مما يشهد على قدرة التفاعل بين الادب القصصي المتناقل بين الامم الشرقية القديمة • وقد تكون قصة الذئب واللقلق الشركسية (هذه القصة التي تتحدث عن اللقلق الذي ادخل راسه في فم الذئب ليخرج له عظمة علقت في حلقه) مثالا واضحا على هذا التفاعل العام في ميدان القصة في الشرق القديم • فهي قصة موجودة في معظم اداب الشرق ولا ندري كيف انتقلت او متى انتقلت بصورة جازمة قاطعة ولكن يظهر انها انتقلت الى اداب الامم الاخرى في مطلع القرون الوسطى وبعد احتكاك الامم بهم تجاريا • ونكاد نقول نفس الشيء عن حكاية الثعلب والعنقود الشركسية وغيرها من القصص المتشابه •

كذلك فمن مميزات هذا الادب القصصي الشركسي اهتمام القاص بدقة الوصف وبتقديم خلفية واضحة لاحداث القصة من خلال الاسهاب في شرح كل صغيرة وكبيرة ، كقول احدهم في قصة قديمة مثلا عن الامير لاوريتسان على لسان زوجته : «كان طويل القامة اهيفها عريض المنكبين • وفي سيماه ملامح الابطال •• اما قوامه فكان اشبه بالخيزران الكيمري» • وقد يكون السبب في هذا الاسهاب تفرغ القاص لعمله – واستجابة الناس لاحاديثه فهو مصدر اعلام ممتاز لهم •

ومن الصفات الاخرى لهذا الادب هذه الصفة التي قد لا تكون في صالح هذا الادب • ونعني بها ذلك التحريف والتغيير الذي قد يصيب هذه القصص من جراء تقادم العهد ، وهي تنتقل شفاهة من جيل الى جيل • حتى ان الاسماء في بعض الاحيان قد تتحرف قليلا مما قد يخلق احيانا بعض البلبلة في اسم بطل الرواية وقد يكون ذلك سببا لخلق اكثر من اسم روائي قصصي لشخصية تاريخية واحدة ثابتة •

ان الادب الشركسي الحديث هو ادب يجمع بين خطين عامين رئيسيين • اما الخط الاول فهو المحافظة على ابراز تاريخ وعادات وتقاليد الشعب منذ القديم واما الثاني فهو محاولة الوصول بهذا الادب الى خط الادب القصصي الحديث في العالم • ونحن نرى تاثير الادب الروسي مثلا على كثير من هذا الانتاج الادبي بعد الاحتلال الروسي لاقسام القفقاس • وعلى سبيل المثال فقط نقول بان قصص الاديب عيسى طوماش والاديب غدغال اسكر وغيرهما تضم هذه الملامح •

فقصة المعتوه لعيسى طوماش تقدم لنا افضل مثال على ما ذكرناه من الجمع بين القديم – والحديث – فهي قصة تتحدث عن ماضي القرية الشركسية والحياة فيها من ضرب الطبول واسراج الخيول – كما تتحدث عن الجامع والمصلين وكذلك عن المعجزات والصواعق واللهيب الذي تاكل السنته بيوت القرية والناحية •

(التتمة على ص ٢٣)

يعقوب يهوشواع

الاسلوب والرقابة في الصحف العربية

[الصحافة العربية في البلاد في مطلع القرن الحالي (١٦)]

ان الاسلوب في الصحف العربية المحلية في فترة ما قبل الحرب الاولى لم يكن مختلفا عن اسلوب الصحافة السورية او اللبنانية التي كان لها - للاخيرة - اكبر الاثر عليها · وبعد الاحتلال البريطاني للبلاد امتد تأثير الصحافة السورية الى مصر ، التي غمرت الاسواق الادبية في البلاد بجرائدها مع مر الايام · وكان بالتالي للاسلوب السهل الذي تطور في الصحافة المصرية فضل كبير في ازالة قيود البلاغة التي قيدت الصحافة المحليـة ·

لم تقاس الصحف المحلية مشاكل اللغة والاسلوب ، كذلك فانها لم تواجه تحديات نحت المصطلحات والاسماء الجديدة · بل كانت هذه الصحف تاخذ هذه المصطلحات عن الصحف السورية او المصرية ، وهي صحف كانت ذات مستوى ارفع بكثير من الصحف المحلية · والى ذلك فلا بد من الاشارة الى ان الصحف السوريلبنانية، كانت متأثرة ، بشكل غير مباشر ، بالصحف المصرية· ويرجع ذلك الى ان الصحف الاولى درجت على نقل التلغرامات الاخبارية عن الصحف المصرية التي كان لها علاقـات برقيـة مـع وكـالات الاخبـار العالميـة (اكتفـت الصحـف السوريلبنانيـة ، على الغالب ، بنشر الاخبار التي كانت تزودها بهـا وكالة الانباء العثمانية او مصادر رسمية اخرى) ١ ·

لا يمكن القول اذن ان اسلوب الصحافة المحليـة في جميع فتراتها كان ذا طابع مميز · فان هـذا الاسلوب كان مندمجا في الاسلوب العام لصحف الشرق الاوسط · وكانت حركة تطور الادب العربي الحديث نحو نهاية القرن التاسع عشر قد ساهمت بشكل فعال، والى حد كبير ، في تطوير الاسلوب اللغوي للصحف العربية - من هنا التأثير المتبادل الذي نلحظه بين هذين القطاعين · فقد حافظت هذه الحركة الادبية على

الصحافة من التأثيرات الخارجية · ويكفي ان نقارن هنا الصحف العربية في الشرق الاوسط بتلك التي كانت تصدر في شمال افريقيا ، حيث كانت بعيدة عن المراكز الادبية العربية العامة وعن بؤرات التأثيـر ، وقريبة من ناحية اخرى الى مراكز تأثير فرنسية ، الشيء الذي ما زلنا نلحظه حتى اليوم ·

ويشير واشنغطن سوريس في كتابه **العربية الجديدة** الى كلمات ومصطلحات كثيرة ادخلت عن طريـق الصحافة ، ولا يمكن العثور على معانيها في القواميس العربية ، الشيء الذي ادى الى عدم فهم القراء ، وحتى المثقفين من بينهم ، لما كان يقصده الكاتب · وساخص بالبحث هنا اسلوب الصحافة في الفترة التي سبقت الحرب الاولى · وهو اسلوب يمكن تمييزه بافتقاره الى المصطلحات الادارية والعسكرية ، والمصطلحـات الاقتصادية والتجارية ، وكذلك المصطلحات العامـة والاجتماعية - وكلها بدأت تذكر وتتردد للمرة الاولى في صحف الشرق في تلك الفترة ·

وقد استعملت الصحافة العربية ، بما يختصـص بالاداريات ، مجموع المصطلحات التركية في هـذا الشأن ، وذلك لان الادارة العربية في ذلك الحين كانت لا تزال في اول اطوارها · وبعد الحرب الاولى فقط بدأت المصطلحات العربية في التداول وذلك بسبب تطور انظمة السلطات والادارات المحلية والاقليمية · وبسبب تأثير الاقتصاديات والتجارة الفرنسية والايطالية على الشرق في تلك الفترة نجد اصداء لذلك في عالـم المصطلحات التجارية العربية · وقد ادخلت هـذه الاخيرة عن طريق التجار الفرنسيين والايطاليين الذين كانت لهم علاقات تجارية مع الشرق العربي ·

بشر مطلع القرن العشرين ببوادر الحركة الاشتراكية التي اوجدت الضرورة لاستنباط مصطلحات جديـدة ملائمة · وتجدر الاشارة هنا الى ان الصحافة العربية في الشرق كانت تحت تأثير الصحافة الفرنسية التي كانت مقروءة من قبل اوساط واسعة من المثقفيـن

(١) راجع في هذا الشان (بالفرنسية) كتاب واشنغطن سوريس : **العربية الجديدة** ، بيروت ١٨٩٧ ·

العرب • وبالاضافة الى ذلك فالصحف الفرنسية التي كانت تصدر في مصر ، والتي كانت ذات مستوى رفيع ، اثرت بدورها على الصحافة العربية ، ليس بما يختص بالمصطلحات فحسب ، بل كذلك باسلوبها اللغوي وتياراتها • ذلك لانها كانت قريبة من اذواق المثقفين العرب •

اما بما يتعلق بالمصطلحات الفنية والتقنية فلا عجب ان نجد في تلك الفترة نقصا بها (في الاعلانات التي نشرت عن الالات والمضخات الزراعية التي وصلت البلاد نستطيع لمس ذلك) • ويجب الا ننسى ان مطلع القرن الحالي كان فاتحة تطور في غرس البيارات وتجارة الحمضيات على انواعها – في الوسطين اليهودي والعربي على السواء •

وسأسوق هنا مختارات من المصطلحات ، ماخوذة من الصحافة العربية قبل الحرب الاولى (راجع كتاب الرصافي : **لغة الجرائد** ، بما يتعلق بتأثير التركية على العربية في اسلوب الجرائد) •

مصطلحات لغوية : فامسك به ودفع الى الحكومة يصادف عذاب • بالرفاء والبنين والعز المكين • مظنون بدعوى جناية •• غير قائم بشؤون مأموريته •

مصطلحات عامة : المتنفذون وارباب السيطرة • ارتجاعي – خلق ارتجاعي (رجعي) • جنسيون (: شوفينيون) • الحكم الاستقلالي (: الدكتاتوري) • اعتصاب الحوذيين (: اضراب العربجيين) • فونغراس (: محاضرة) • دواوين على القناصل (: عميد) •

أسكلة يافا (: ميناء يافا) • اوراق الكشف (: المخالفات) • بروتستو (: اعتراض) • حمال البور •

مصطلحات ادارية : تحصيلدار المالية (: جابي الضرائب) • محاسبجي المالية (: محاسب) • بودجة البلدية (: ميزانية البلدية) • سر مهندس (: مهندس اول) • مأمور المنفستو • قومندان الجندرمة • قومسير (: مامور الشرطة) • بسابورطات • مدير التحريرات (: كاتب اول) •

الرقابة

كانت الرقابة على الصحف العربية في الاقاليم في يد موظفي وزارة المعارف والثقافة في ذلك الحين • وكان الرقيب متشددا يمنع نشر كل كلمة او جملة يشك في انها تسيء الى «الباب العالي» [٢] • وادى هذا الامر الى جعل الصحافيين معرضين دائما للاستدعاء والاستجواب ، وبالتالي الى هجرة عدد كبير منهم الى مصر ، التي كانت تعد في تلك الفترة بلد الحريات • والصحف كذلك كانت مهددة دائما بالاغلاق وبالغاء ترخيصها اذا اثير شك حول ما تنشره ، وكذلك بالسجن اذا اشتمت في مقالاتها رائحة تمرد وعصيان على «الصدر الاعظم» •

وقد ادت هذه الامور الى انصراف الصحافة في ذلك العهد الى الابحاث الادبية واللغوية وترك السياسة جانبا • ونستطيع تتبع اخبار تلك الفترة في ما كتبه الصحافيون الذين عاشوها (راجع مثلا كتاب سليمان البستاني : **عبرة وذكرى عن حرية الصحافة** ، منذ الغاء دستور مدحت باشا سنة ١٨٧٨ الى اعلان الدستور ثانيا سنة ١٩٠٨ ، عهد الاستبداد) •

في اثناء الحرب الاولى اغلقت السلطات التركية جميع الجرائد التي كانت تصدر في سوريا ولبنان وفلسطين ، وابقت على صحيفتين في سوريا ولبنان قامتا بنقل اخبار الجبهة («البلاغ» صدرت في لبنان) •

كان متصرفو الالوية يقومون بالانتقام من الصحافيين الذين تجرأوا على انتقاد اعمالهم • ولم يكتفوا بذلك ، بل كانوا يجبرون موظفيهم على الامتناع عن الاشتراك بالصحف التي قامت بتوجيه النقد اليهم • وعلينا ان نذكر هنا ان معظم الجرائد كانت ترسل الى المشتركين ولم تكن تباع في الاسواق كما هي الحال في ايامنا • وقد ادى ذلك الى انقلاب الصحافة الى مسارح تعظيم للمتصرفين •• ولكن هذا لم يكن يعني توقف المشاكل مع الرقابة ، ولا الاقلال من اخطار الحبس وانواع العقوبات •

اصبحت ، والحالة هذه ، الصحف التي تصدر في البلدان المجاورة اكثر رواجا هنا • ولكن الرقابة تدخلت

(٢) يحكي الصحافي ابراهيم سليم النجار ، الذي اصدر في بيروت صحيفة «اللواء» ، انه حدث مرة ان كانت احدى المقالات مذيلة بتوقيع «سلطاني» ، اسم عائلة كاتب المقالة • فظن الرقيب ان هناك محاولة للتشهير بالسلطان العثماني (وكلمة «السلطان» كان محظورا استعمالها) فامر المحرر بازالة التوقيع ، وبعد اخذ ورد انتهت القضية بالغاء المقالة •

(محاضرات الندوة ، الحلقة ٢ ، ٣٠ نيسان ١٩٤٧)

في الامر وحظرت التوزيع الا على الصحف التالية : الحقيقة (من الاستانة) ، الفلاح (لسليم الحموي ، مصر) ، المقطم (القاهرة) ، الاهرام (القاهرة) ، لسان الحال (بيروت) ، وكذلك المجلات الادبية : الهلال ، المقتطف ، البيان ، المنار ، المحبة .

ولم تقف تخوفات الرقابة عند هذا الحد بل تعدته الى التدخل بالامور الادبية . ففي صحيفة «فلسطين» من ٢٨ حزيران سنة ١٩١١ خبر يقول ان سلطات الجمارك التركية قد صادرت ديوان المتنبي من الشيخ محمد افندي القلقيلي صاحب صحيفة «الوطنية» في القاهرة، ثم اعادته بعد حين . ثم ما عتمت هذه الاجواء ان ادت الى تيسير طرق الانتقام الشخصية . فقد حكي لي يوسف العيسى (الذي اصدر قبل الحرب الاولى صحيفة «فلسطين» ثم صحيفة «الف باء» الدمشقية) انه اذا اراد احدهم الانتقام من شخص ما كان يرسل الى ادارة احد الصحف الممنوعة من الدخول الى فلسطين طلب اشتراك على اسم الشخص الذي يريد الانتقام منه . وكانت دائرة البريد التركي حين تتسلم الصحيفة تحول الامر للسلطات فيطلب الشخص للتحقيق . اما المواطنون الاجانب فكانوا يتسلمون الصحف عن طريق فروع بريد الدول الاجنبية ، كروسيا والنمسا والمانيا وفرنسا

ولم تكن «القدس الشريف» ، الصحيفة الرسمية التي اصدرتها الحكومة التركية باللغتين العربية والتركية تنشر الاخبار العامة ، فان الرقيب كان يمنع نشر ما يجري في العالم باللغة العربية .

(اعد المواد للطبع : انطون شماس)

الادب الشركسي - تتمة

وهكذا نستطيع ان نقول بان هذه القصة تبرز اجمل انواع التلاحم بين اغراض وملامح القصة القديمة والحديثة .

واذا عدنا من القصة الى المثل في الادب الشركسي والحكمة فيه بوجه عام نرى بان هذه الحكمة لا تخرج عن الاسس السابقة في معالجة قضايا ذلك الشعب الذي صدرت عنه وحياته بشكل عام ، كما تبرز اهم صفاته واي حكمة تنطق باسم هذا الشعب هي اصدق تعبيرا ووصفا له من هذه الحكمة التي تحض على العمل والاجتهاد وتقول : «التواكل طريق الفشل» وهذه الحكمة والامثال تعطينا توضيحا عن مدى قيمة المجد المكتسب بالساعد والشجاعة والجراة والاجتهاد — فيعلمنا هذا المثل ما يلي : «ليتني اكسب مجدا يغنيني عن النسب» .

وللحض على طلب المعرفة نصيب وافر من الامثلة حيث نراه سببا اساسيا يرشد الى المعرفة والبحث عن الصواب والاستقامة فيقول : «لا يخطىء من يسال ، ولا يدوم الخطأ» . ومن الامثلة التي تدل على الاجتهاد والحرص على التشجيع وابعاد روح السأم بالطريقة التي راينا فيها ان الخطأ لا يدوم . من هذه الامثلة نرى مثلا اخر قريبا من السابق يقول : «الانت لا يعرف الكلل ولا الملل» . وهكذا فمعظم امثالهم اسباب تدفع الى العمل والاجتهاد والنجاح خاصة وان امثالهم تحدثنا عن قيمة اكتساب الفرصة المناسبة بقولها : «الفرص لا تعود» . و «الانت» كما راينا في مثل متقدم هو اسم اخر قديم من اسماء الشركس . هذا الشعب الذي يحب المغامرة والفشل على الخمول والنجاح كما يتضح من مثلهم القائل : «غامر مرة واحدة ولا تبق في خوف دائم» . ولكن امثالهم مع هذا لا تحرض على الفوضى المطلقة وانما تعلمنا عكس ذلك فتقول : «لكل شيء حدوده المعلومة» . ومن هنا فان كل شيء بقدر .

ولكن هذه الامثال الشركسية تضم جانبا اجتماعيا يتحدث عن الفضائل الشركسية والقيم المختلفة كالكرم، واحترام المرأة وتقدير الشجاعة وغير ذلك مما يتناسب وروح تفسير الاسم «اديغة» اسمهم الذى يطلقونه على انفسهم — وهو يعني الانسان الكامل . اما اهم هذه الامثلة فتتحدث عن الكرم واستقبال الضيف كقولهم مثلا : «الضيف شريك الروح» — وهناك مثل اخر تنعكس فيه نفس هذه الخصلة الطيبة ، وهي قولهم : «دار لا ضيف فيها لا بورك فيها» .

كذلك نرى من هذه الامثلة ما يتحدث عن منزلة المراة اجتماعيا — وكون هذه المنزلة منزلة مرموقة — وانها تعتبر فعلا النصف او الجزء الهام فيه : «ان بيتا لا سيدة فيه كحقل لا زرع فيه» .

العدد القادم من «الشرق»

عدد خاص يضم ترجمات من

الادب العبري الحديث

نيف ومئة قصيدة للشعراء :

أريه زكس ، اوري برنشتاين ، افوت يشورون ، امير غلبواع ، انداد الدان ، اهارون امير ، بنحاس ساديه ، دافيد افيدان ، دافيد روكياح داليا رابيكو فتش ، دان باغيس ، شوليت هار ايفن ، ط . كرمي ، عليزا نهور ، مئير فيزلتير ، مريم يلان شتتكليس ، موشي دور ، ناتان زاخ ، يئير هورفيتس ، يهودا عميحاي ، يهوشواع تان ـ باي ، يعكوف بيسر ، يونا فولاخ .

اثنتا عشرة قصة للادباء :

أ.ب. يهوشواع ، اهارون ميغد ، اهود بن عيزر ، دافيد شاحر ، شوليت هار ايفن ، شماي غولان ، عاموس عوز ، غدعون تلبـــاز عماليا كهانا كرمون ، يتسحاك اورباز ، يعكوف شبتاي ، يهودا هائزراحي

محمود عباسي

في الهزيع الاخير

مجموعة قصصية تصدر قريبا عن مجلة **الشرق**

انطون شماس

كمبرد يلحسه لسان القصيدة

قصـائد مختارة

تصـدر قريبا

عن مجلة **الشرق**

صدرت عن مجلة **الشرق**

المجموعة الاولى من قصائد الشاعر

ادمون شحادة

تلاحم الوجوه والمعانـي

تطلب المجموعة من مجلة **الشرق**
او من المؤلف مباشرة ، المكتبة
الحديثة ـ الناصرة

الثمن ٥ ليرات

لمشتركي الشرق ٤ ليرات

صدرت عن مجلة **الشرق**

المجموعة القصصية الثانية للكاتب

زكي درويش

الجســر .. والطوفـان

قصص نشرت

واخرى لم تنشر

هاشم خليل

مدينة العاشقات

مسرحيـــة

طريـــق
الوقت بعد انتصاف الليـــل .
حارس الليل يذرع الطريق وبندقيته مدلاة من كتفه .
في خلفية المسرح ملامح لمدينة قديمة .
دقات اجراس خافتة تاتي من المدينة . الدقات تبقـــى متواصلة طيلة المسرحية .
وتشكل ايقاعا للحدث المسرحي ..
لحظـــات .
حارس الليل يسمع خطوات من بعيد فياخذ الحذر .
تقترب الخطوات .. الحارس يصرخ ..

حارس الليل : قف ! لا تتحرك ! ساطلق النار لـــو تحركت خطوة واحدة .. الاوامر مشددة ومعروفة لسكان المدينة بعد انتصاف الليل .. الـــم تكن تعرف ذلك قبل ان تتحرك فوق الشارع المؤدي الى خارج المدينة بعد انتصاف الليل ؟

الكاهن : كنت اعرف ذلك جيدا يا سيدي .

حارس الليل : ألم تكن تتوقـــع ان يصادفك حارس الليل على طول الشارع المؤدي الى خارج المدينة ؟

الكاهن : كنت اتوقع كل شيء يا سيدي .

حارس الليل : اذا كنت تعرف ذلك وتتوقع ذلك فلماذا تتصرف ضد ذلك ؟

الكاهن : لان اجراس الدير تقرع .. فظننت ان شريرا يقرعهـــا

حارس الليل : فنهضت .. أليس كذلك ؟

الكاهن : هذا ما فعلته يا سيدي .. لان الاجراس داخل الدير .. ولاني داخل الدير .. ولان الدير داخل المدينة .. ولانني الكاهن الوحيد في الدير

حارس الليل : ولكني لا افهم كيـــف ينهض كاهن مثلك داخل ديره ليراه حارس ليل مثلي يمشي وسط الظلام الدامس على طول الشارع المؤدي الى خارج المدينة ؟

الكاهن : انت حارس الليل يا سيدي .. هذا صحيح .. ومن حقك ان تمنع سكان المدينة من مغادرة اديرتهم ومنازلهم ومواخيرهم بعد انتصاف الليل .. هذا صحيح يا سيدي .. ومن حقك ان تفعل ذلك ليس مع كاهن بسيط مثلي فحسب .. وانما مع الاساقفة والبطارقة .. والبابوات .. ومع كل الناس يا سيدى .

حارس الليل : القانون قانون .. أليس كذلك ايهـــا الكاهـــن ؟

الكاهن : فعلا .. يا سيدى الحارس

حارس الليل : ولكنك تكسر القانون

الكاهن : فلتنزل اللعنة على كاسري القانون يا سيدى اما انا فلم افعل شيئا يجعل اللعنة تكسر يافوخي

حارس الليل : ووجودك خارج الدير ، كيف تفسره ايها الكاهن ؟

الكاهن : ساقول لك عن كل شيء يا سيدى

حارس الليل : حسنا

الكاهن : سمعت الاجراس تقرع بحدة داخل الدير .. ونسيت احتشامي وورعي وطهارة لساني ككاهن في دير المدينة .. وبدأت أشتم كلاعب قمار يخسر اخر قرش في جيبه .. وصرخت : «اشرار .. اشرار .. اشرار حتى بعد ان يهجع الكاهن في فراشه ، يا اولاد الكلب ! لا يحلو لكم قرع الاجراس الا بعد انتصاف الليل ؟ سأرى يا اولاد الكلب اذا كانت دقات الاجراس في النهار ستدفع بواحد منكم الى الصلاة داخل الكنيسة ؟»

حارس الليل : هل تعلم ان الشتائم بعد انتصـــاف الليل ممنوعة في هذه المدينة ؟

الكاهن : خاصة داخل الاديرة .. يا سيدى

حارس الليل : (بسخرية) ارى انك تجيد حفظ القانون بدقة ومهارة ايها الكاهن .. ولكنك

الكاهن : (يقاطعه)
عندما يغضب الانسان يا سيدى الحارس تتحول كل القوانين الى زنزانة مظلمة يصعب اختراقها

.. حتى على الراهـــب والكاهن والشرطي والزانيات ايضا ..

حارس الليل : يبدو انك واسع الثقافة ايها الكاهن

الكاهن : الاديرة خلقت لتمنحنا ثقافة واسعة في كل شـيء

حارس الليل : يبدو ذلك واضحا في عباراتك

الكاهن : انت لطيف جدا ايها الحارس

حارس الليل : الا في تادية واجبي .. اكمل ايهـــا الكاهن اكمل ..

الكاهن : لم استطع احتمال الاجراس وهـــي تقرع بوحشية بعد انتصاف الليل ..

حارس الليل : (بفارغ الصبر)
فنهضت من فراشك واضأت شمعة ضخمة وهرعت نحو المدخل وفتحت المدخل ونظرت من حولك تبحث عن الاشرار .. ثم ؟

الكاهن : لدهشتي الكبيرة كانت ارض الدير خالية حتى من الاشرار .. فاسرعت نحو الحبل المدلى مــن مجموعة الاجراس وامسكت به وحاولت ايقاف الاجراس عن القرع المتواصل .. كنت اشعر بالحبل يشدني الى الاعلى ، وانطفأت الشمعة في يدي ولفني ظلام دامس وصرخت كالمجنون : «من يقرع الاجراس ؟ من يقرع الاجراس ؟ من يقرع الاجراس ؟» .. وارهقني الصراخ والقرع والشد والرعب الشديد .. وتهاويت عند المدخل المؤدى الى داخل الدير .. كان اللهاث يعلو من فمـي الفاغر والظلام يجعل من عيني موقدا مطفئا .. عندما .. عندما ..

حارس الليل (بلهفة)
انهارت الاجراس ؟

الكاهن : كلا .. كلا ..

حارس الليل : انقطعت دقات الاجراس ؟

الكاهن : كلا .. كلا .. دقات الاجراس ما زالت حتى الان تتجاوب في اجواء المدينة الا تسمعها ايهـــا الحـــارس ؟

حارس الليل : اسمعها .. فعلا انها ما زالت تتجاوب حتى الان ..

الكاهن : لم تنقطع الاجراس عن دقاتهـــا المتتالية .. كانت الاجراس ما تزال تقرع عندما .. عندما سمعت الصوت ..

حارس الليل : الصوت ؟

الكاهن : الصوت الا نثوي ياتيني ..

حارس الليل : وهل في الدير اصوات انثوية ؟

الكاهن : لم يكن الصوت ياتيني من داخل الدير .. كان الصوت ياتيني من مكان بعيد .. ربما من شاطىء البحر .. كان ضعيفا ولكنه حاد ومؤلم .. ينفذ الى اعماق الاعماق ..

حارس الليل : (بلهفة)
ماذا قال الصوت ؟

الكاهن : (مترددا)
قال .. قال ..

حارس الليل : ماذا قال ؟

الكاهن : (يصيخ سمعه)
صه ! انه نفس الصوت ! انه نفس الصوت ايها الحارس .. انه ضعيف ولكنه حاد ومؤلم .. اسمع ..

حارس الليل : (يصيخ السمع)
انه يشبه الانين .. لا استطيع ان اسمـــع الكلمات بوضوح .. كالانين تماما ايها الكاهن .. هل تستطيع ان تسمع الكلمات بوضوح ؟

الكاهن : لا استطيع .. لا استطيع .. ولكني كنت اسمع الكلمات بوضوح وانا ملقى امام مدخـــل الديـــر
(الانين يختفـي)

حارس الليل : اعدها ، اعدها ايها الكاهن ..

الكاهن : كان الصوت يقول : «دمائي حركت اجراس الكنيسة» ..

حارس الليل : دماؤها ؟

الكاهن : لم احاول ان افهم معنى الدماء وتحريك اجراس الكنيسة .. وهرعت كالمجنون .. بوابة الديـــر كانت مغلقة .. لم تكن اعصابي تسمح لي .. ان افعل اى شيء بهدوء .. تسلقت الســـور كالمجنون .. لم اعبأ بشظايا القوارير المغروسة في اعلى السور .. لم اعبأ بالدم النازف مـــن ركبتي .. كان همي الوحيد منصبا على الفرار من داخل الدير .. والرحيل عن مدينة تسكنهـــا الارواح ..

التشعب
الاول
للمسرحية

منذ الان كل من يدخل يواصل سرد قصة خاصة به ومرتبطة بالصوت ..
يدخل الشرطي ..

الشرطي : كان الصوت يقول : «دمائي تزيل النعاس من اجفان الشرطي في مخفر الشرطة»
(يدخل الصحفي)

الصحفي : كان الصوت يقول : «دمائي تجعل من اخبار العالم بقايا اوساخ في احذية الصحفيين»
(يدخل الزبال)

الزبال : كان الصوت يقول : «دمائي تجعل من نفايات المدينة حديقة للنزهات العائلية»
(يدخل الشيخ)

الشيخ : كان الصوت يقول : «دمائي تجعل من عمامات الشيوخ مناديل وداع للفضيلة»
(يدخل حاكم المدينة)

حاكم المدينة : كان الصوت يقول : «دمائي تجعل من حاكم المدينة غجريا يبحث عن باقة ورد في اقصى دهاليز الرذيلة»
(يدخل صبي في العاشرة)

الصبي : كان الصوت يقول : «دمائي تجعل من عيون الصبية الصغار اضمومة ورد في مزهرية عاشقة منسية»
(تدخل صبية في العاشرة)

الصبية : كان الصوت يقول : «دمائي تتفتح وردات حمراء في فساتين العذارى ايام الاعياد»
(يدخل المجذوب)

المجذوب : لم اسمع صوتا واحدا ·· لم اسمع صوتا واحدا ·· لم اسمع صوتا واحدا ·· هل رأيتم اختي في هذا المكان ؟ رأيتها ميتة قرب الشاطىء عند الصباح ·· هل رأيتم اختي في هذا المكان ؟ انا ابحث عنها ·· كانت دائما تبحث عني ·· لماذا لم تعد تبحث عني ؟ انا لم اسمع صوتا منذ ان رأيتها هذا الصباح ·· هل رأيتم اختي في هذا المكان ؟

حارس الليل : هيه ! قف هنا ·· لا تتحرك كأنك حر فيما تفعله امام حارس المدينة ··

المجذوب : انا حر ·· انا حر ·· انا ابحث عن اختي ·· اختي ماتت عند الشاطىء هذا الصباح ·· لم اجدها حتى الان ·· لم اجدها ·· انا حر ·· انا حر ·· هل تفهمني ؟

حارس الليل : انت لست حرا ··

حاكم المدينة : دعه ، ايها الحارس

حارس الليل : لن ادعه يتصرف كيفما يشاء

حاكم المدينة : انه الوحيد الذي يملك حرية التصرف هذا المساء في هذه المدينة

حارس الليل : كيف تجرؤ على تحدي ارادة حارس الليل ؟

حاكم المدينة : لاني حاكم المدينة

حارس الليل : (مندهشا)
حاكم المدينة ؟

حاكم المدينة : لا داعي الى الدهشة ايها الحارس ·· لم اعد حاكم المدينة كما ترى ·· الصوت النائح الباكي اصبح كل شيء ·· كلنا سمعنا الصوت الا هذا المجذوب ·· انه الوحيد الذي لم يفقد حريته ·· لانه لم يسمع الصوت ·· انه يبحث عن الصوت ·· يبحث عنه ، هل تفهمني ايها الحارس ؟ كلنا هربنا من الصوت الحاكم الشرطي والزبال والصحفي والشيخ والكاهن ·· انظر اليهم ايها الحارس ، ماذا ترى في عيونهم ؟

حارس الليل : لا استطيع ان ارى شيئا يا سيدى ·· الظلام دامس من حولنا يا سيدى ··

الكاهن : سيدى الحاكم ، لا بد لنا ان نفعل اى شيء لنوقف دقات الاجراس في الدير المهجور

الشرطي : والمخفر مهجور يا سيدى

الشيخ : والجامع قد ينهار يا سيدى

الصحفي : والصحيفة قد تطردني ان لم اعد التقرير يا سيدى

الزبال : والنفايات ستطوح بها الرياح في كل مكان ان لم انهض مبكرا يا سيدى

الصبي : والعابي ستضيع

الصبية : وفستاني سيتلف

المجذوب : واختي سوف لا نجدها في الصباح

حاكم المدينة : والمدينة ستزول ··

حارس الليل : وحارس النهار سيغضب لو ادرك اني لم اقم بالحراسة على اكمل وجه ··

الكاهن : ماذا يمكن ان نفعل ؟

الشرطي : ماذا يمكن ان نفعل ؟

الشيخ : ماذا يمكن ان نفعل ؟

الصحفي : ماذا يمكن ان نفعل ؟

الصبي : ماذا يمكن ان نفعل ؟

الصبية : ماذا يمكن ان نفعل ؟

حاكم المدينة : ماذا يمكن ان نفعل ؟

حارس الليل : ماذا يمكن ان نفعل ؟

المجذوب : نبحث عنها ··

جميعا : مجذوب ٠٠ مجذوب ٠٠ نبحث عنها ؟
(تدخل فتاة)
الفتاة : كنت ابحث عنكم جميعا ٠٠
حارس الليل : ومن تكونين ؟
الفتاة : عاشقة ٠
جميعا : عاشقة ؟
الفتاة : اغمد السكين في صدري ٠
جميعا : اغمد السكين في صدرك ؟
الفتاة : قرب الشاطىء ٠٠
جميعا : قرب الشاطىء ؟
الفتاة : ومت ٠٠
جميعا : مت ؟
الفتاة : وبقيت دمائي تصرخ
جميعا : دماؤك تصرخ ؟
الفتاة : صوت دماء العاشقات لا يفهمه في هذه المدينة غير المجاذيب ٠٠ هل رايتم مجذوبا يمر بكم في هذا المكان ؟
حارس الليل : انه هنا ٠٠ بيننا ٠٠
الفتاة : اين انت ايها المجذوب
المجذوب : نعم ٠٠ ماذا تريدين ؟
الفتاة : ابحث عنك
المجذوب : تبحثين عني ؟ انا لا يبحث عني احـــد ٠٠ ولكني ابحث عن غيري ٠٠
الفتاة : انت تبحث عني اذن ٠٠
المجذوب : انا لا ابحث عنك ٠٠ ولكني ابحث عن اختي
الفتاة : وانا اختك
المجذوب : اختي ميتة
الفتاة : وانا ميتة
المجذوب : ولكن ليس هنا ٠٠ انها قرب الشاطىء ٠٠ ميتة قرب الشاطىء
الفتاة : انا اختك التي تبحث عنها ايها المجذوب
المجذوب : (يدنو منها)
انت لست اختي ٠٠
(وهو ينطلق هاربا)
اختي هناك عند الشاطىء ميتة ٠٠
حارس الليل : (يطلق عليه النار)
هل نسيت ان حارس الليل موجود هنا ايهـــا المجـــذوب ؟

المجذوب : (وهو يموت)
اختي ٠٠ اختي
الفتاة : (صارخة)
قتلتم حبيبي ٠٠
الكاهن : (يهرع نحو الفتاة)
صوت الرصاص يجعلني اذكر الاشياء بوضوح ٠٠ ساقول لكم كل شيء ٠٠
الشيخ : (يهرع نحو المجذوب)
بعد حدوث الجريمة استطيع ان اذكر الاشياء بوضوح ٠٠ ساقول لكم كل شيء ٠٠
الفتاة : جئت ابحث عن اهل المدينة كي يدفنوني ٠٠ لم اجد احدا في المدينة ٠ كانت مهجورة والاجراس تدق من دون انقطاع ٠٠ جثة عاشقة واحدة تجعل مدينة باكملها ترحل ؟ ما اتعس البشرية من موت العاشقات قرب شاطىء البحر ٠٠ حبيبي اصبح مجذوبا ٠٠ وانا جثةتبحث عن دافنيها ٠٠ والان من يدفن العاشقة المسكينة وحبيبها المجذوب ؟ حبيبي المجذوب لا يتكلم ٠٠ الا يوجد واحد في هذه المدينة يسمع صوت العاشقات الصريعات ؟ حتى بعد ان تغمد العاشقة المسكينة نصلة صماء ؟ ادفنوني ايها الناس الى جانب عاشقي المجذوب٠٠
الكاهن : اتمنى لو لم اصبح كاهنا ٠٠ قتلتك ايتهـــا العاشقة ذات الصليب الفضي
الشيخ :اتمنى لو لم اصبح شيخا ٠٠ قتلتك ايهـــا العاشق ذو الهلال الفضي ٠٠
الشرطي : سيدى الحاكم
حاكم المدينة : ماذا تبغي ايها الشرطي ؟
الشرطي : حراس الليل بغاوات
حاكم المدينة : ماذا تعني ؟
الشرطي : يجب ان تبتر رؤوسها ٠٠
حاكم المدينة : انا لا افهم
الشرطي : سأبدأ بهذا الحارس
حاكم المدينة : ماذا تقصد ؟
الشرطي : سابتر رأسه
حاكم المدينة : لماذا ؟
الشرطي : لتستطيع العاشقات في هذه المدينة رؤيـــة لون القمر دون ان يلمحن ظل بنـــادق حراس الليـــل ٠٠
حاكم المدينة : لن تستطيع تنفيذ ذلك الان
الشرطي : ولكن لماذا ؟

حاكم المدينة : لاننا سندفن العاشقين اولا ٠٠

الصحفي : ولاني لا احمل آلة التصوير في هذه اللحظة

الزبال : ولاني لا احمل صندوق قمامة في هذه اللحظة

الكاهن : ولاني لا احمل انجيلا

الشيخ : ولاني لا احمل قرآنا

الصبي : ولاني لا احمل مزمارا

الصبية : ولاني لا احمل طبلة

الشرطي : سنؤجل ذلك حتى الصباح

حاكم المدينة : والان !

انتهى التشعب الاول للمسرحية
الدقات تنقطـــع
الظلام يهبط بشدة

التشعب الثاني للمسرحية

حارس المدينة : اسمع ايها الكاهن ٠ هل ترى هـــذه البندقية تتدلى من كتفي ؟

الكاهن : اراها يا سيدى ولكن ليس بالوضوح الـذى تتوقعه ٠٠ لان الدنيا ظلام من حولنا يا سيدى

حارس المدينة : انت لا تدرك ماذا تعني تلك البندقيـة وهي تتدلى من كتف حارس الليل ؟

الكاهن : انها مجرد بندقية محشوة بالرصاصات يـا ســيدى

حارس المدينة : كلا ٠٠ ايها الكاهن ٠٠ انها ليست مجرد بندقية محشوة بالرصاصات ٠٠ على العكس من ذلك ٠٠ اعني ان البندقية التي امضيـت حياتي احملها فوق كتفي لا تحوي ولم تحـــو وسوف لا تحوي رصاصة واحدة ٠ بندقيتـي ليست اكثر من شكل فــــارغ يرهبه الناس يتحاشاه الناس ويحسبون له الف حساب ٠٠ هذه طبيعة الناس في كل مكان ايها الكاهن لكي يحيا الناس في طمانينة وهدوء عليك ان تخلق في اذهانهم اشكالا معينة ولو انها في اغلب الاحيان مزيفة ٠٠ قد تكون تلك الاشكال بنادق مــن الورق المقوى او حراس ليل مصنوعين مـــن الورق المقوى ٠٠

الكاهن : حراس ليل مصنوعين من الورق المقوى ؟

حارس المدينة : ليس في الامر ما يدهش ايها الكاهن لقد فعلتها بنفسي ٠٠ واظن انك كاهن ورع وكتوم للاسرار ، ولا يمكن ان تفشي هذا السر امام اى انسان حتى ولو كان ذلك الانسان فتاة حلوة تقف معترفة خلف مقصورة الاعتراف ٠٠ هل تعدني ان تكون كاهنا حقيقيا ؟

الكاهن : اعــــدك

حارس الليل : اذن سافشي لك السر ٠٠

الكاهن : اخفض صوتك ايها الحارس ، يقولون ان الظلام ستارة شفافة تخترقها الاصوات

حارس الليل : انت شاعر ايها الكاهن ؟

الكاهن : الاديرة تخلق الشعر احيانا

حارس الليل : والليل ؟

الكاهن : يخلق حراس الليل

حارس الليل : اذن ، انا ابن الليل ٠٠ ما اروع ابناء الليل ٠٠

الكاهن : وما اجمل الليل من غير حراس واصوات دماء تتكلم ايهاالحارس

حارس الليل : تعني دماء الصوت الانثوي ؟

الكاهن : ما زلت اسمع تلك الدماء تتكلم ٠٠ اسمعها من خلف دقات الاجراس اسمعها من خلف ثيابي وهنا ٠٠ هنا في اطراف اناملي ٠٠ امسك انامل ايها الحارس

حارس الليل : انا ملك ترتعد بشدة

الكاهن : الا تسمع صوتا ٠٠ يفور من مساماتها ؟

حارس الليل : لا اسمع شيئا

الكاهن : لانك لم تسمع الصوت الضعيف المؤلم : «دمائي تحرك اجراس الكنائس» ٠٠ انــت لا تسمعها ايها الحارس لانك لست كاهنا مثلي ٠٠

حارس الليل : هذا ما يؤلمني ايها الكاهن ٠٠ امضيت حياتي احرس المدينة فيالليل ٠٠ لا اسمـــع صوتا يأتيني من خلف النوافذ المغلقة في الليل ولا ارى اشكال وجوه الناس من خلف اســوار المدينة الغارقة في الظلام ٠٠ والامر المؤلم ان الناس لا يعرفون من اكون لا يعرفون ان كانـت عيوني سوداء او زرقاء ٠٠ لا يعرفون اى شيء عن حارس الليل لمدينتهم ٠٠ كل ما يعرفونه ان حارس الليل موجود في مكان ما ، يحمل بندقية فوق كتفه ويتنفس طول الليل هواء باردا يجمد رئتيه ٠٠ لم يحاولوا البحث عن مكاني لانــي اصبحت عند اهل المدينة مجرد شكل من الاشكال يجعلهم يغمضون عيونهم بهدوء واطمئنان ٠٠ وعندما يأتي الصباح ينفض سكان المدينة اجفانهم

واتحول انا قطعة من القذى تهبط من فــوق اجفانهم مع رغوة الصابون وتغور في انابيب الماء ٠

الكاهن : حتى حارس الليل يرى مآسي الحياة في مثل هذا الوضوح ؟ كنت اظن ان رجال الديـن هم الوحيدون الذين يرون مآسي الحياة من خلال انقسامهم عنها ٠٠

حارس الليل : واظن اني انا ايضا منقسم عن اهـل المدينـة ٠٠

الكاهن : حسنا ٠٠ ايها الحارس حسنا : اذا كان هنالك انسان في هذه المدينة يحق له ان يندب حظـه العاثر في الشوارع وعلى الشطآن وفوق السطوح فهو انا ٠٠ انا كاهن المدينة ايها الحارس ٠٠

حارس المدينة : احيانا يراودني احساس غريب بـان ارحل عن هذه المدينة ولكني اصحو على احساس آخر يرغمني على البقاء في مكاني ٠٠ واسـال نفسي : «ماذا يحدث لاهل المدينة لو ادركوا فـي لحظة من لحظات وعيهم التام ان المدينة ملقاة بين الاسوار بدون حارس ؟» هذا هو السر الذى كنت احاول بما تبقى عندى مـن اعصاب تالفة ان افشيه لك ايها الكاهن ٠٠ كل ليلة يراودنـي نفس الاحساس ولكني اكبته ٠٠ وعندما سمعت خطوات تأتيني من ناحية المدينة كان الاحسـاس الاخر يطغى على بقايا اعصابي التالفة ٠٠ كان بيني وبين الرحيل خطوة واحدة ولما سمعـت خطواتك كان الوقت قد فات ٠٠ وعدت الى شكلي الاول ٠٠ الى شكل الحارس الذى يقول في هدوء الليل : «قف ! لا تتحرك» ٠ لم اكن انا الناطق الفعلي للكلمات ٠٠ كانت احساساتي المتشابكة تنطق الكلمات ٠٠

الكاهن : اذن ، انا جئت في اللحظة المناسبة ٠٠

حارس الليل : وقبلك جاء الشرطي في اللحظة المناسبة

الكاهن : الشرطي ؟ ماذا كان يفعل الشرطي هنا ؟

حارس الليل : كان يرتعد كخيط رفيع في مهب الريح ٠٠ وسألته : «ما الذى جاء بك الى هنا ايهـا الشرطي ؟» واجابنـي : «الصوت ٠٠ الصوت الضعيف المؤلم !» وسألته : «اى صوت تقصد ايها الشرطي ؟» واجابني وهو يجتاز النقطة التي املؤها على الطريق «صوتها ٠٠ صوتهـا ايها الحارس ٠٠ سأترك هذه المدينة وارحل ٠٠ لـن ابقى لحظة واحدة في مدينة يحكمها صـوت انثوي ضعيف مؤلم» ٠٠

الكاهن : يا لله ! انه نفس الصوت اذن ! انه نفس الصوت الانثوي ايها الحارس ٠٠ اذن انا لست الوحيد الذى ارغمه الصوت على هجر المدينة بعد انتصاف الليل ٠٠ هنالك اناس آخرون غيري هجروا المدينة بعد انتصاف الليل ٠٠ من غير الشرطي سمع الصوت ايها الحارس ؟

حارس الليل : لم يسمع الصوت احد غيركما ٠٠

الكاهن : لم يسمع الصوت احد غيرنا ؟ ولكن الصوت يتبع من داخل المدينة ، وهنالك الالاف غـير الشرطي والكاهن داخل اسوار المدينة ٠٠ لماذا لم يسمعه حاكم المدينة ؟ لماذا لم يسمعه الزبالون واصحاب الحوانيت واصحاب النوادى الليلية ؟ لماذا نحن الاثنان فقط ؟

حارس الليل : الشرطي كـان يقفز فوق الشارع كالمهووس ٠٠ امسكته من قميصه وهززته بقسوة حراس الليل : «قل ! ماذا حدث ؟» وتلعثم صوت الشرطي وهو يقول : «الصوت كان يقول ٠٠ دماني حركت صفارة الانذار ! سمعت الصوت يقول ذلك ٠٠ ونهضت من فراشي ٠٠ وسمعت صفارة الانذار ٠٠ وقفزت كالمجنون ٠٠ اركض في شوارع المدينة المقفرة ٠٠ كنت اركض وحدي ٠٠ لم المح انسانا اخر في شوارع المدينة المقفرة» ٠

الكاهن : ولكني لم اسمع صفارة الانذار تدوي فـي المدينـة

حارس الليل : لعل اصوات الاجراس كانت تحجـب دوي صفارة الانذار

الكاهن : ولكن دوي صفارة الانذار يطغي عـلى دقات الاجراس ٠٠ عادة ٠٠

حارس الليل : الشرطي قال : «كنت الوحيد الذى يسمع دوي صفارة الانذار»

الكاهن : وانا حتما كنت الوحيد الذى يسمع دقـات الاجراس اذن ٠٠

حارس الليل : هذا هو المنطق ٠٠ والا لاستفاقت المدينة باكملها على دوي صفارة الانذار ودقات الاجراس

الكاهن : ولكن لماذا نحن الاثنان بالذات ؟

حارس الليل : ، الامر سر ايها الكاهن ٠٠

الكاهن : من مائتي الف انسـان داخل الاسوار لا يستيقظ الا الشرطي والكاهن ٠٠ وانت ؟

حارس الليل : انا دائما في حالة يقظة متواصلة

الكاهن : ولكن يقظتك لم تنبع من نفس المصدر ٠٠

حارس الليل :على اى حال ·· انا حارس الليل لهذه المدينـــة

الكاهن : وانا كاهنهـــا

حارس الليل : ولا بد ان تفعل اى شيء من اجل ايقاف الاجراس عن دقاتها المتواصلة ··

الكاهن : حســـنا !

حارس الليل : وساقدم على عمل لم اقدم عليه من قبـل في هذه المدينة ·

الكاهن : تعنـــي ··· ؟

حارس الليل : سابحث عن الصوت في كل مكان

الكاهن : كيـــف ؟

حارس الليل : انا حارس الليل ·· وادرك جيدا اسلوب البحث عن مصدر الاصوات

الكاهن : وهل ستتركني لوحدي ؟

حارس الليل : انتم الكهنة كذلك ·· اترك الواحد منهم يقضي ليلة واحدة خارج جدران اديرتهـــم وفورا تتلاشى عقائده ·· كالمعلبات تماما ·· حسنا ايها الكاهن ، سابحث بنفسي عن صوت الدماء المتكلمة ·· يمكنك ان تتخيل نفســـك حارس ليل ريثما اعود

(حارس الليل يخرج)

الكاهن : (لوحـــده)

ساتحول الى قطعة من الورق المقوى ·· ولكن ، لماذا اقول اني ساتحول ؟ ربما اكون فعلا كذلك في نظر مائتي الف انسان داخل اسوار المدينة ··

(يدخل الشرطي ··)

الشرطي : مساء الخير ايها الحارس

الكاهن : مساء الخير ولو اني لست الحارس كما كنت تخاطبنـــي ··

الشرطي : من تكون اذن ؟

الكاهن : كاهن المدينة ·· ومن تكون انت ؟

الشرطي : شرطي المدينة ··

الكاهن : ولكني سمعت من الحارس انك قد رحلـــت عن هذه المدينة ولن تعود

الشرطي : فعلا · كنت انوي هجر المدينة الى غـير عودة ولكني تراجعت ··

الكاهن : تعني انك لن ترحل عنها ؟

الشرطي : حســـنا ··

الكاهن : هل سترحل عنها ؟

الشرطي : كلا ··

الكاهن : لمـــاذا ؟

الشرطي : هل تتصور مدينة تحوي مائتي الف انسان من غير شرطي ؟

الكاهن : وهل تتصور نفس المدينة من غير كاهن ؟

الشرطي : اذن : لا بد ان نعود اليها ··

الكاهن : ولكننا لن نفعل ذلك حتى يعـود حارس الليل

الشرطي : واين هو الان ؟

الكاهن : يبحث عن صوت الدماء المتكلة بين اســـوار المدينة ··

الشرطي : تظن انه سيعثر عليها ؟

الكاهن : (صارخـــا)

دقات الاجراس توقفت

الشرطي : (صارخـــا)

ودوي صفارة الانذار توقف

الكاهن : يا لله ! هل تصدق ان دوي الاجراس يتوقف ؟

الشرطي : وهل تصدق ان دوي صفارة الانذار يتوقف ؟

(يدخل حارس الليل)

حارس الليل : يجب ان تهرعا نحو المدينة

الكاهن : ماذا حدث ؟

الشرطي : ماذا حدث ؟

حارس الليل : اهل المدينة في انتظاركما

الكاهن : في انتظارنـــا ؟

الشرطي : في انتظارنـــا ؟

حارس الليل : لن يدفنوا جثة العاشقة ··

الكاهن والشرطي : جثة العاشـقة ؟

حارس الليل : اهل المدينة سمعوا نفس الاصوات ·· هرعوا نحو الشاطىء كانت جثتها ملقاة عـــلى رمال الشاطىء ورسالة تتدلى من صليبهـــا ونصلة السكين تغوص بين ثدييها ·· وسمعت آلاف الاصوات تصرخ : «الرسالة ·· اقرأوها» · ووقفت من خلف الجماهير اسمع الصوت يقـرأ الرسالة ·· «لم يقتلني سوى الكاهن والشرطي وبندقية حارس الليل ·· ان لم تقتلوا الشرطي والكاهن وحارس الليل في هذه المدينة ستجدون كل ليلة عاشقة تبحث عن عيون حبيبها بين رمال الشاطىء ·· التوقيع العاشقة الاولى ··»

الكاهن : سارحل عن هذه المدينة ··

الشرطي : وانا سأفعل نفس الشيء ··

حارس الليل : وحارس الليل ، ماذا سيفعل ؟ ..

الشرطي : من حيث قانون الجنايات فنحن الثلاثة جناة

الكاهن : ومن حيث قانون الديانات السماوية فان العاشقة هي التي دفعت بالكاهن والشرطي وحارس الليل الى الاحساس بارتكاب جناية عظمى كهذه ..

حارس الليل : ومن حيث قانون المشاعر الانسانية فان العاشقة والكاهن والشرطي وحارس الليل مشتركون في ارتكاب جناية كهذه ..

الشرطي : ولكن العاشقة ماتت على رمال شاطىء المدينة

الكاهن : ونحن الثلاثة باقون .. الكاهن يصغي الى اعتراف العاشقات من وراء الكوة الصغيرة ويقول : «لا تدنسي قدسية الصليب المدلى من عنقك .. والشرطي ينظر الى عيون العاشقات من خلف مكتبه الخشبي ويقول : «انتظري حتى تكتمل اعوامك الثمانية عشرة» . وحارس الليل يحرم العاشقات من الذوبان في سواد الليل بين احضان عشاقهم ويقول : «قف ! لا تتحرك» .
وينسى الكاهن ان الدين ليس مجرد صليب يتدلى بين ثديي عاشقة .. وينسى ان الصليب ليس اكثر من قطعة زينة تجذب عيون العاشقين الى صدور المراهقات العاشقات .. وينسى الشرطي ان الموت والحياة يقاسان بالاعوام وان الحب امر آخر .. امر لا يخضع لتفاهات الزمن .

حارس الليل : (بفارغ الصبر)
دعنا من هذه الافكار .. علينا ان نفعل واحدا من امرين : اما الرحيل .. واما التنازل عن اشكالنا الشاذة في عيون عاشقات المدينة ..

الشرطي : التنــازل

الكاهن : الرحيــل ..

حارس الليل : لنفرض اننا قررنا الرحيل .. الى اين سنرحل ؟

الكاهن : اى مكان

الشرطي : وستتكرر المأساة

حارس الليل : ستتكرر المأساة ايها الكاهن .. لا بد ان نتنازل اولا عن اشكالنا ..

الكاهن : عندى فكرة

الشرطي : حسـنا

الكاهن : نضع اقنعة على وجوهنا

حارس الليل : ونرحـــل ؟

الكاهن : كلا ! نهرع الى المدينة

الشرطي : لنلحق بالجنــازة ؟

الكاهن : لا بد ان نفعل ذلك

حارس الليل : وبعد ان نفرغ من دفن العاشقة ؟

الكاهن : نرحل عن المدينة

الشرطي : والمدينــة ؟

الكاهن : ستبقى مدينــة

الشرطي : من غير الشرطي ؟

الكاهن : ومن غير الكاهن وحارس الليل

حارس الليل : وتترك المدينة للعاشقات ؟

الكاهن : (مهتاجا متحمسـا)
مدينة العاشقات .. مدينة العاشقات .. هل سمعتم عن مدينة في كل هذا العالم يدعونها مدينة العاشقات ؟ تصوروا ان مدينة باكملها تملؤها العاشقات .. يتحدثن عن ازهار النسرين ، وعن اغاني الامواج على الشطآن ، وعن قوارير العطر المخفية في حاملات النهود ، وعن تسلل خيوط القمر عبر الستائر الليلكية .. تصوروا مدينة من هذا النوع .. العاشقات يملأن الشوارع ويتكأن على حافة النوافذ ويغنين اغنيات بيضاء انه حلم كبير .. حلم كبير ايها الشـرطي ..

الشرطي : وفي ايام الاحاد يحملن اكاليل الزهور الى قبر العاشقة الاولى

حارس الليل : وفي الامسيات الربيعية يملأن الطريق المؤدي الى خارج المدينة

الكاهن : هل تتصورون ذلك ؟

الشرطي : مكتبي سيتحول الى ....

الكاهن : والديـــر

حارس الليل : والليـــل

الكاهن : وكل المدينة .. كل المدينة ..
(كانه يتلو نبوءة)
وسيأتي جيل ...

(انتهى التشعب الثاني)

سـتارة

عبد الرحمن عباد

الكابـــوس

قصـــة

«هواجس ..

لا .. لقد شاهدتها بام عيني .

سأنتقــم .

سأثأر لكرامتي المهدورة .

سوف اغمد خنجري في حنجرتها واقطع رقبتها من الوريد الى الوريد .

اين هي الان .. !

هل لا زالت بين احضان عشيقها الحقير .

تف على كل بنات حواء لا يؤتمن على صاع شعير . فكيف الشرف»

كانت هذه الافكار تلوك نخاع الشيخ مبروك فيلوب على سريره كالملدوغ وهو بين اجفان اليقظة والنعاس . اما زوجته فقد كانت ممدودة على السرير مستسلمة لاحلام سعيدة ومداعبات ..

استيقظت افكار الشيخ مبروك قبل ان يصحـــو فاعملت مطرقتها على سندان راحته حتى افاق وهنا راحت تحدثه عن خيانة زوجته وارتمائها في احضـــان عشيقها الثري العجوز وعن ضرورة الاخذ بالثار كما يفعل الرجال الاحرار الذين لا يقبلون المبيت على الشرف المكلوم رفع الشيخ مبروك يده ففرك عينيه محاولا ابعاد النعاس عنهما ، وفعلا تمكن من ازاحة كومات القذى عنهما فاطلتا كنحلتين خاملتـــين تستعدان للطيران .

رفت رموشه عدة مرات ثم تمتم بضع كلمات غير مسموعة .

كان وجهه ممتقعا من شدة الغيظ . فالافكار تلبسه كالبرذعة وتطارده كالاجرب «كيف حدث ما حدث تحت سمعي وبصري دون ان احرك ساكنا مع انني اعـرف اخلاق ذلك الثري القذر .. ؟!!!

كيف سكت وانا ابصره يمد يديه نحو .. لا لن تكون زوجتي ولن الفظ اسمها ، ولن اقبل ان ارتبط بها بعد اليوم ، لتذهب مع عشيقها الى الجحيم .. ولكن لا لا بد ان اغسل العار عن داري ولا يمسح العار الا دم هذه الفاجرة .»

نظر الى يمينه فشاهد صورة ولده الوحيد يتوسطهما ... حدق في الصورة كانه يراها اول مرة ..

«ان هذا الطفل يشبه امه الى حد كبير ، لكنه لا يشبهني على الاطلاق .. ان ملامحه تشبه ملامح ذلك الثري ..

تف على بنات حواء من يوم الخلق الى يوم النشور .

احس بضربة حادة تنزل الى سويداء قلبه .

ابنه الفاعل .. تخونني في منزلي وتنجب اطفالا من غيري واتولى الانفاق ، ثم يلصقون اسماءهم باسمي .

سوف اقتل الطفل ..

سأقتل الام اولا ..

لا بل سأقتل الاثنين معا ثم اقتل نفسي او اسلم نفسي للقضاء . وسيعرف الناس ان الشيخ مبروك لا تطأ داره الشياطين وانه يدوس على قلبه وعواطفه اذا تعرض شرفه للامتهان .

نظر ناحية الشمال . فشاهد طفله «سعيـــد» . مستسلما لنوم عميق وقد قرفص رجليه لشدة البرد وانحسار الغطاء عن نصفه السفلي .

هل اتركه يموت من البرد ..

هل ازيح بقية الغطاء عن نصفه العلوي ليصاب بلفحة هواء ربما ارسلته الى الاخرة . لكن .. ما ذنب هذا الطفل البريء حتى احمله وزر ما اقترفت امه مـــن جرائم» ؟ الم يقل الله سبحانه : ــ ولا تزر وازرة وزر اخرى .

والله لولا مخافة الله لاطبقت بيدي على عنقه فقبضت روحه ورروح امه من بعده .. وليذهبوا بي بعد ذلك الى حضيض الزنازين .

حرك الطفل جسمه الصغير وتناول الغطاء بحركة لا شعورية فسحبه وغطى به جسمه ، ثم عاد يغط في نوم عميق ..

اخرج المصباح رائحة كريهة ..

لعل ما بداخله من النفط قد انتهى .

نظر الى ساعة الحائط الكبيرة يسالها عن الوقت ، الا ان ضوء المصباح الشاحب لم يسعفه في التقاط الارقام

كان يريد معرفة الوقت حتى يقوم لصلاة الصبح ..

«لماذا لا اتخذ هذه «الدابة» النائمة بلا مبالاة ..!

لا .. لن احاكيها ابدا .. سوف لن تتشرف بخدمتي بعد اليوم .. انا لن اقبل تدنيس ابريق الوضوء .. فالزانية لا تمسك اناء يستعمل لعبادة امر بها الله .

ازداد سناج المصباح وبدأ يطلي جدران البلـــورة الزجاجية بدهان اسود قاتم ثم بدأ يصعد دخانا لولبيا كالافعى لا يلبث ان يستقر على الحيطان او يتسلل الى انوف النائمين ورئاتهم ..

لعنة الله على الاسرجة وكل مشتقات البترول ، الا يستطيع الانسان ان يقضي ليلة مستريحا من هـــذا العذاب ؟!!

ولكن لماذا كل هذا الغضب .!!

لماذا لا اقوم فاسكت هذه الزبالة المتطاولة بنفخة واحدة من فمي ..!!

سوف افعـــل .

قام من سريره فاتجه ناحية السراج فأطفأه . ثم عاد واستلقى على السرير محاولا قدر المستطاع معالجة هذه المشكلة التي نبتت له اليوم .

رحماك يا الهي ..

والله ما اذنبت يوما حتى استحق هذا العقاب ..

رب اقبض روحي حتى لا اظلم نفسا لم تفسد في الارض ..

وضع رأسه بين كفيه ثم بكى كما لم يبك في حياته من قبل .

رفع رأسه .

سمع صوتا مختلطا بصياح ..

ايكون المؤذن يؤذن لصلاة الصبح ..؟

ربمـــا .!!!

انطلق الديك مرة اخرى صائحا ، ثم كرر النداء ..

ان الصبح قريب .. لا بد ان يؤذن للصلاة الان .

دقت ساعة الحائط اربع دقات ..؟

فطن الشيخ مبروك ان ساعة المؤذن متوقفة كما تذكر ان ساعة الجامع مصابة بعطب منذ ثلاثة ايام ولم يجر اصلاحها حتى الان ..

ولكن مالي وصوت المؤذن .. الم اصل في محراب بيتي هذا عشرات المرات .

دقت ساعة الحائط خمس دقات .

قامت «ميمونة» من فراشها فاتجهت صوب الغرفة المجاورة .. والزوج يراقبها وافكاره تتحرك مع كل حركة من حركاتها . تفسر كل عمل ..

اشعلت الزوجة بابور الكاز ..

ــ آه .. يا ترى ما السبب ..؟

ملات سطلا واسعا من الماء .

ــ لماذا

«علقت الماء على بابور الكاز ، ثم راحت تبحث داخل الخزانة عن ملابس نظيفة ..

ــ القذرة تريد ان توهمني انها طاهرة الذيل ..

انزلت الماء عن بابور الكاز ثم حملته وراحـــت تغتسل ..

ــ تريد ان تطهر جسمها المتسخ بعار الرذيلة ، سوف يكون حمامها الاخير في هذه الحياة «فردت سجادة ثم رفعت يديها للصلاة ونوت ركعتين لصلاة الفجر .

ــ القذرة تريد ان تخدعني وتخدع الله بهذا العمل .

«انهت صلاتها مسلمة ثم جلست تسبح وتشكـــر وتطلب الى الله ان يوفقها ويوفق ابنها وبناتها ويدخلها الجنة مع الصديقين والشهداء .

ــ سوف تصلين سعيرا ولن تخرجي منه الا ان عفوت عنك ولن اعفو ..

عادت الى فراشها تريد ان تنام ..

دقت الساعة ست دقات ، وبدأت حزمات من الضوء تفلت من وسط الغمام الكثيف العالي ، الذي يجلل وجه السماء

مد الشيخ مبروك عصاه نحو وسادة زوجته ثـــم قال : ــ

ــ هذا لم يعد ملكا لك .. ولا يحق لك استعماله بعد اليوم .

نظرت الزوجة نحوه باستغراب ثم قالت :

ــ اقصر الشر يا شيخ مبروك وقم صل فقد فاتتك صلاة الفجر ..

حدق الى عينيها ليشاهد عمق الاكذوبة التي تنطلق على لسانها ثم قال

ــ انت التي تتحدثين عن الصلاة وتهدين الناس الى الخير .. سبحان الله .. اصبحت الثعالب تؤم الناس وتحمل المسابح .

ظهر الخجل والغضب على وجه المراة فقالت :

ــ لا حول ولا قوة الا بالله ماذا تريـــد في هـــذا الصباح ..؟ ولماذا هذه الالفاظ الخشنة .

ــ كل وجه وما يصلح له يا قرينة السوء

– اتقول هذا لي يا شيخ مبروك ..؟
– اخرجي من منزلي .. هيا اخرجي .. انت طالق .. انت طالق .. انت طالق .

تهاوت المرأة بجانب السرير ، بينما صوت الشيخ يعلو ويعلو كانه اجراس الاحد .. انت طالق .. انت طالق ، والمرأة ذاهلة شاخصة العينيين كانها تنظر النظرة الاخيرة للكون .

افاق سعيد .

نظر حوله ..

– اين امي يا والدي ..؟

– في جهنم .. اتبعها ثم لكزه بالعصا فانقلب على جنبه الاخر واخذ يصرخ من شدة الالم تلقفته الام فطوقته بذراعيها ثم راحت تقبله وهي تجرجر جسمها الثقيل خارج البيت وحشرجات صوتها تتقطع مبحوحة .. الله ينتقم من الظالم .

ثار الشيخ وهو يسمع دعوة امرأته الى الله فلحق بها واخذ يعزف بعصاه الحان العذاب على جسدها وجسد ابنها ..

تعالت صرخات المرأة والطفل ..

تدخل الجيران في الامر محاولين فض المسالة بالحسنى الا ان الشيخ تشدد في موقفه واقسم ان تخرج من بيته عارية كما خلقها الله ، فكل شحمها ولحمها وثيابها من عرق جبينه ، فكيف يتحول هذا النعيم كله الى سرير ناعم لرجال غيره ..؟

لم يشأ مبروك ان يقع مع الناس في جدال بادىء الامر ، الا انهم امروا ان كل خلاف يمكن حصره مهما كان ، وان ايقاف الشر وحصره في دائرة يمكن السيطرة عليه .

اغتاظ مبروك من هؤلاء الجيران ، لقد خبرهم لا يتورعون عن ارتكاب منكر ، فكيف يصبحون بين عشية وضحاها طابورا من الاولياء .. الا تعسا لهؤلاء الناس .. يريدون تسلية على حساب غيرهم ..

– لا .. هي كلمة واحدة لا ارجع عنها .. قلت ستذهب عارية الى بيت ابيها وسوف تذهب .

لكز احد الجيران طفلا في العاشرة ثم همس في اذنه قائلا : –

– اذهب الى الشيخ رباح وقل له احضر بسرعة ..

انطلق الصبي باقصى سرعة نحو منزل الشيخ رباح .

كان الشيخ رباح يستعد لمغادرة منزله الى «الدكان» عندما قال له الطفل لاهثا :

– صباح الخير يا عم رباح .. يسلم عليك عمي اسماعيل ويقول لك احضر بسرعة ، ثم قفل الصبي راجعا دون ان ينتبه لنداءات الشيخ رباح العالية التي تتساءل عن سر هذا الطلب المفاجىء .

لملم الشيخ رباح اطراف ثوبه ثم انطلق مسرعا نحو العم اسماعيل ، وعندما اصبح على مشارف الحارة ، شاهد جموع الناس تحتشد امام منزل شقيقته فاوجس خيفة .

– لامر ما اجتمع هؤلاء الاشرار ..

اللهم اجعله خيرا .

كان يتقدم ببطء شديد بعد ان اصبح على مقربة من القوم ، وكان الصوت يرتفع مع انخفاض سيره ، حتى دلف الى صحن الدار .

شاهد شقيقته مغمي عليها وقد نزف الدم من راسها وتمزقت ثيابها ، بينما قبع ولدها بجانبها يحرك راسها بكفيه الصغيرتين صارخا في ضراعة : – امي ردي علي يا امي ..

حرك هذا المنظر كوامن الغضب في رأسه فلم يتماسك نفسه وعرف ان الشيخ مبروك قد فعلها بشقيقته وفرج الناس عليها ، فاقسم ان يحطم راسه هذا اليوم ، تناول حجرا عن جدار سورت بـه دار شقيقته ثم قذف به باب المنزل فهوى محدثا صوتا حادا غطى على جميع الاصوات المحتشدة ثم صرخ باعلى صوته :

– اخرج الي يا شيخ «متلوق» والله لاجعلن نهارك مثل ليلك .

ما ان شاهد الشيخ مبروك باب بيته قد هدم حتى طار ما براسه من منطق ، فانطلق نحو غريمه وهوى على رأسه بضربة قاضية جعلت الدم يشجب منها ويقفز كالنافورة تكاثف الناس يحاولون ابعاد المتقاتلين بعضهم عن بعض ، الا انهم لم ينجحوا فقد علمت قبيلة الشيخ رباح بان رباح منطرح على بوابة الشيخ مبروك فجروا نحو فؤوسهم وسكاكينهم وتحولت المعركة الزوجية الصغيرة الى معركة بين القبائل ..

اعلم المختار رجال الشرطة ، فجاءت سيارات الاسعاف والامن والقت القبض على جميع المشتركين في المعركة ثم استاقت الاحياء منهم الى السجن والاموات الى القبور والجرحى الى المستشفيات .. اما الشيخ مبروك .. فقد نظر حوله فلم يشاهد سوى كومة من الظلمة تنمو وتتكثف ويزداد سوادها حتى تصبح غيمة شديدة القتام تطغى على كل ما حولها من النور ثم تلتهم عينيه ودماغه وفكره وتسلمه الى ديدان الارض تاكل ما تبقى من مكانته ..

(التتمة على ص ٣٨)

اديب شاكـــــر

الفراشـــــة

قصـــة

«كم انتم انانيون ايها الرجال ! •• تبيحون كـل شيء لانفسكم •• ولكنكم تحرمون علينا •• ابسط الاشـيـاء ! ••»

وحدق في وجهها وهي تنطق بهذه الكلمات في لهجة لا تخلو من ثورة وسخط •• ولكنها رغم ذلك فقـد بدت له اكثر من جميلة •• وهي تعبر عن وجهة نظرها في حماس واندفاع لم يعهدها فيها من قبل •

كانت زميلته في العمل في المركز الرئيسي للشركـة الذى انتدب للعمل فيه منذ قرابة شهر من الزمن • وكانت تبدو له في المكتب رقيقة ممعنة في الرقة •• ربما بسبب ذلك الخفر العذرى الذى تتشح به •

وقد قبل دعوتها لتناول المرطبات في ذلك المقهـى الفخم المطل على البحر بمناسبة ترقيتها الى وظيفـة سكرتيرة المدير العام للشركة ! ••

كانت تجلس قبالته كاجمل ما تكون الزهرة المتفتحة للحياة •• في ذلك الجو الحالم المتلالىء بالاضواء •• الذى يتلاقى مع النسيم المنعش ، ومع رطوبة البحـر وسحر الليل •• لتتضافر جميعها في بعث النشوة في النفوس •

ولعل هذا هو ما جعلها تبدو مرحة اكثر مما يجب•• وجذلى يستبد بها الضحك احيانا فتهتز لذلك خصلة شعرها الكستنائي الناعـم الذى عقصته بمشـبـك لؤلؤى على هيئة ذيل الفرس •• فبدا منسجما تماما مع وجهها الاغريقي الجميل • ومن هنا فقد كان يحلو للزميلات في العمل ان يطلقوا عليها اسـم «رودا» بطلة احدى الاساطير الاغريقية القديمة !

وفي تلك الامسية الصيفية الحالمة ، طوي اسمهـا الحقيقي ، وحلا له ان يدعوها طيلة الوقت باسمها الاخر المستعار : «رودا» !

وانطلقا على سجيتهما يتحدثان ، وبقيت الاحاديث وتنوعت •• وعرف منها اشياء واشياء ••

عرفت انها واسرتها وفدوا الى المدينة الكبيرة •• من احدى القرى ، وانها تعيش مع والدة مريضـة واخ اعزب ، بعد ان تزوج باقي اخوتها واخواتها •• حتى تلك التي تصغرها !

وتنهدت حين اتت على ذكر اخيها ، وغامت عـلى وجهها سحابة من الاسى •• جعله يتطلع اليها متسائلا مستوضحا ، فبادرته قائلة :

ـ «انك تستنكر ان اقول انكم انانيون •• وتريدني طبعا ان اوضح لك ما حدا بي الى هذا القول••وستحاول انت ان تدافع بكل قوتك عن ابناء جنسك ، ولكن ذلك لن يغير من الموقف شيئا •• !»

وصمتت ••

واخذ يحدق فيها وقد بدا له انها تجتر بعضذكريات الماضي •• وسمعها تقول :

ـ «اسمع يا سيدى ، اود اولا ان اقول لك ان اخي يعمل ليلا في اكبر ملهى في هذا البلد • انه ينام فـي النهار ويعمل في الليل ، ولا يعود الا حين اهم بمغادرة البيت الى عملي صباحا • اخي يبيح لنفسه كل شـيء •• وبحكم عمله مع «نساء الليل» •• فقد انغمس في الرذيلة حتى اذنيه !»

قال مستوضحا : «وما ادراك ان ذلك حصل بالفعل؟ •• الا يمكن ان يكون مجرد تصور من جانبك ؟»

هتفت في ثقة : «بل انا متاكدة من ذلك ! •• لا تسلني كيف •• فلنا نحن النساء وسائلنا الخاصة في اكتشاف ذلك !»

قال : «وماذا بعد ؟»

قالت وهي تتنهد : «انه رجلنا في البيت •• وهـو المسؤول عن ام طريحة الفراش واخت لا تتعدى الثالثة والعشرين من العمر ـ والتي هي انا ـ كان المفروض ان يحسن قيادة هذا البيت الذى القيت مقاليده اليـه بدل ان ينغمس في الرذيلة حتى اذنيه ! •• ثم انـه لا يتورع عن السطو على معظم راتبي •• اخي هذا يـا سيدى ـ وهو يبيح لنفسه كل شيء ـ يحـرم علي رؤية شاب او محادثته ! ؟

ـ «غريب ! ؟»

ـ «والاغرب من ذلك انه ثار مرة لانه وجدني اتحدث بالتلفون ذات مرة مع احد زملائي في العمل ! •• وفي مرة اخرى نزع التلفون من البيت !»

ـ «الى هذا الحد يخشى عليك ؟ !»

ـ «انه لا يخشى علي ، بل يقيد حريتي ويكبلني ·· حتى سئمت الحكاة !»

ـ «الا ترين انه يحرص عليك ؟ ·· ومن هنا جاءت خشيته هذه وتشديده المراقبة عليك ! ··»

ـ «لا ·· لست اوافقك على ذلك ! الا ترى ان كثرة الضغط تولد الانفجار ؟ ! ··»

ـ «صدقت ·· ولكن لم لا تحاولين تفهم نفسيتـــه لتتلمسي له العذر ·· لقد عرف المراة جســدا ويشتهى ويستباح ·· ولذا حرص على ابعادك عن هذا الاطار المفهوم للمراة ·· حفاظا على طهرك ·· وليجنبك ما قد يقودك الى السقوط !»

ـ «هل يعتقد انه بذلك يستطيع ان يرغمني عـلى الخضـــوع ؟»

ـ «ماذا تعنين ؟»

ـ «اعني انني قد اتمرد ! ·· ولم لا اكون صريحـــة معك فاقول بانني قد تمردت بالفعل ·· ومع اول رجل وضعه القدر في طريقي··شاب اجنبي متزوج ·· احببته بكل قواي ! ··»

وحدق في وجهها بذهول ·· وقد عقد لسانه هـــول المفاجاة وجراتها في التصريح ·· وحين طالعتها ملامـــح الذهول والاستنكار في وجهه ، استدركـــت لتقول : «اطمئن ·· لقد منحته كل شيء ·· ما عدا ذلك الـذي يبقى للفتاة عذريتها !»

وحدق ثانية فيها ·· في استغراب كبير ··

هل هذه الفتاة الرقيقة الخجول التي عرفها ويعرفها في المكتب ؟

هل هي تلك الموظفة المتفانية في عملها ؟

أم ان كل شيء يجوز هنا ·· والمتناقضات تتلاقى في خلط عجيب ؟!

قال لها مستنكرا : «ولكن لم فعلت ذلك ؟»

قالت في شبه تشف : «لقد دفعني الى ذلك دفعا ·· بعد ان احال حياتي الى صحراء مقفرة وسط مجتمـــع متحرر ! ·· ارادني ان اعيش راهبة معصوبة العينين ·· تدفن احساساتها ومشاعرها في التراب ! ··»

ـ «انه الحرص عليك يا «رودا» فلا تلوميه»

ـ «بل قل الضغط ! ·· ان كان يحرص علي فعلا ·· فليكن لي القدوة الصالحة ··»

واخذ يمعن فيما تقوله ··

كان فيما تقوله شيء من الصواب ·· فالاب او الاخ او المشرف يجب ان يكون القدوة الصالحة لمن حوله او لمن وكل اليه امر تربيتهم اذا اراد لهم الصلاح ·· والا فلا يلومن الا نفسه ان هم تنكبوا الصراط المستقيم ·· اقتداء به وتقفيا لخطواته ! ·· اما الجانب الاخر للموضوع فقد جانبت فيه الصواب ·· فهي ـ ورغم كل شيء ـ ملومة كل اللوم ·· فالانسان لا يملك ان يثبت ذاتيته بطريق ملتو شائك ·· فيه مزالـــق للسقوط ، وله اخطاره وعواقبه الوخيمة ·

وارتشفت «رودا» بعضا من شرابها المثلوج ، وتابعت حديثها وهي تحاول ان تضع على شفتيها ابتسامة حلوة: «لقد مضى الاخر بعيدا عني ·· الى بلاده ، واصبحت وحيدة ·· اقضي نهاري في العمل ·· ولمعظم اوقاتـي في خدمة امي المريضة» ·

ـ «الا تجدين في خدمتها شيئا من الراحة ؟»

ـ «احيانا ·· ولكن يزيد في انقباضي ووحدتي ·· وفي شعوري بالوحشة والشقاء ! ·· صدقني اذا قلت لك بانني قد ضقت ذرعا بذلك حتى بت اخشى ان تسود الحياة في نظري» ·

ـ «هناك يا رودا اشياء كثيرة يستطيع المرء ان يفعلها داخل البيت وخارجه ·· يستثمر بها وقته ويفيد منها من ناحية اخرى ··»

ـ «ربما كنت صادقا ومخلصا في نصحك ·· وسافكر في ذلك فيما بعد ، اما الان فلننس هذا الحديث المزعج الذي افسدت به جلستنا الحلوة هذه» ·

قال لها : «هل لي ان اسالك كيف تمكنت مـــن الحضور هذا المساء ؟ ·· الا تخشين غضب اخيك ؟»

وضحكت «رودا» ·· ولاح في ضحكتها ذكاء حواء وهي تقول : «ومن اين له ان يدرى اني خرجت ·· انه يذهب مساء كل يوم الى عمله ولا يعود الا في الصبـاح الباكر ومن هنا فانني استطيع ان افعل ما اشاء من خلـــف ظهـــره ! ··»

ـ «يعني غاب القط ·· العب يا فار ؟»

قالت في عتاب حلو «تشبهني بالفار ؟»

ـ «ليس تماما ·· فانت اشبه ما تكونين بالفراشـة الجميلة ·· التي يستهويها الضوء فتنجذب اليه ·· وتكاد ان تحرق نفسها !»

ـ «ولكنني محصنة ضد الحريق ! ·· اسمع هـــل تريدنا ان نمضي الليل ندور في حلقة مفرغة حول هذا الموضوع ؟» ·· لننس ما قلته لك ·· ودعنا نستمتع بهذه الليلة ·· ما رايك في مكان اخر ؟»

ـ «مثـلا ؟»

ـ «ســتريو !»

ومع انه يعرف ما هو الستريو الا انه تصنع الجهل ورد في تغاب :

ـ «لم يسبق لي ان دخلت واحدا منها !»

- «اذن هي فرصتك لدخوله •• !»
- «ما اعتدت ان اسير الى اى هدف معصـــوب العينـــين !»
- «اذن فاعلم انه مكان تحت الارض ، اشبه ما يكون بالكهف ، يهيء لك لقاء ممتعا مع فتاتك •• تحـــت الاضواء الخافتة ، وفي جو حالم مع ليل طويل حافل بالرقص والكاس والهمس واللمس ••»
- «كيف •• فانا لا اجيد الرقص» •
- «والكاس ؟»
- «لا اذوقه !»
- «غريب ! •• وماذا عن الامور الاخرى ؟»
- «انني لا اجيد التمثيل !»
- «هل افهم من هذا انني لا اعجبك ؟»
- «رودا •• انت تعلمين شعورى نحوك» •
- «اذن •• ما الامر ؟!»
- «لا اريدك ان تمضي في هذا الطريق»
- «ما ظننت يوما انك خيبلي بهذا الشكل !»
- «لست كذلك يا فتاتي •• ولكنها القدوة الصالحة التي رفعت شعارها لمهاجمتنا !»
- «اذن هكذا ؟ ! ••»
- «اجل ، فانني اخشى على الزهرة النضرة ان تذبلها الايدى القاسية ! ••»

ولحظ تماما خيبة الامل التي تفشت على صفحـــة وجهها ، فقال لها مخففا : «فلنكتف الليلة بهذا القدر يا رودا •• وغدا اصحبك الى حيث تريدين ••»

واتفقا على اللقاء في الغد ، وهو يامل ان يتمكن من اقناعها بوجهة نظره •• ولابعادها عن هذا الطريـــق • وما اعطاؤها هذه المهمة الا لاتاحة المجال امامهـــا للتفكير •• ولعل وعسى •

وفي الوقت المحدد من اليوم التالي ، كان يجلس الى نفس الطاولة ينتظر قدومها ، ورغم نسمات المساء المنعشة الا انه كان يشعر بشيء من القلق لا يدرى كنهـــه ••

ومضت عشر دقائق •• فعشرون •• وكان يفكر في الانصراف حين رأى الساقي يتجه نحوه ليهمس في اذنه : «السيد مطلوب على التلفون» •

وكانت هي المتحدثه •• واعتذرت له برقة لعـــدم تمكنها من الحضور فقد اشتدت وطاة المرض عـــلى والدتها •• الامر الذى استوجب ملازمتها طيلة الوقت•

وانصرف بعد قليل •• وانطلقت به السيارة عائدة وسط ذلك الشارع الذى تكثر على جوانبه الملاهـــي الليلية باضوائها الزرقاء والحمراء •• كان يسرح مع افكاره وهو يحمد للفتاة ملازمتها لوالدتها المريضة •• والسهر عليها •• عسى ان تتيقظ مشاعرها النبيلـــة لتريح راسها الصغير من ذلك التفكير المحموم باثبـــات الـــذات !

وافاق من ذهوله على صوت بوق السيارة الذى اخذ ينبه اثنين يعبران الشارع امام السيارة •• فتـــاة تتابط ذراع شاب وتلتصق به •• وهي في قمة السعادة والنشوة •• شيء عادى جدا !

وفجاة •• سقط الضوء على وجه الفتاة •• فعرفها في الحال ! •• وكانت هي بلحمها ودمها !

وبدت له من خلال نظراته الزائغة كطيف بعيد •• اشبه ما يكون بفراشة جميلة استهواها الضوء الازرق فاخذت تتلمس طريقها الشائك نحوه ••

وتابعها بنظراته •• وهي تقود فتاها الى ستيريو ليلي •• وتهبط به تحت الارض حتى ابتلعها الضوء الازرق ليقذف بها في جوف ليل طويل •• يعربد فيـــه نغم وشيطان !!

الكـــابـــوس - تتمـــة

لعن نفسه ، لعن الشك ، لعن حواء الف مرة ، ثم استفاق على ضربة عنيفة من سجان الزنزانة التي يتزل ضيفا بين احضانها ، فاذا زوجته قد احضرت له الطعام والحليب واذا طفله يقفز الى حجره قائلا بكل براءة الملائكة •• اعطيني بوسة يا بابا •• فيحضنه بـــين ذراعيه ثم يمطره بسيل من القبل ، ودموعه تملأ عينيه، ولسان حاله يقول اللهم العنك يا شيطان • الشـــك يفعل اكثر من ذلك • والخيانة تسبب اكثر مما كان في الرؤيا ••

تقدمت زوجته تحمل ابريق الماء الساخن والمنشفة ووعاء الغسيل ثم وضعتها وسط الغرفة حيث قـــام الشيخ مبروك يستغفر الله ويشكره وزوجته تصب الماء على رأسه وتساله بسذاجة :

لقد كنت تقول اشياء كثيرة في الليل •• هل كنت صاحيا ••؟

فيبتسم الشيخ قائلا :

الحمد لله كانت احلاما والا لكنت الان في الزنزانة مع الديدان •• سالته زوجته ما الخبر ؟!!

تناول المنشفة من يدها ثم قال ميتسما ويده تربت على كتفها بالفة وحنان :

تلك حكاية يطول شرحها •• هيا بنا نتناول طعام الافطار ••• ثم مضوا الى طعامهم ياكلون بشهية وحب كما لم ياكلوا من قبل ••؟

عزت ابو رية

الدرس

قصة جزائرية

●سرى الخبر في القرية محملا بشحنة من الخوف المبهم .. فما ان يطرق الخبر الاذان حتى تسري رجفة في القلوب :

ـ الخشب بتاع الزاوية اتسرق .. زاوية سيدي «الواصل» .

تتسمع الاذان الخبر .. وتتحرك العيون في مافيها وجفة .. لماحدث .

فالزاوية تقع في طرف القرية على مكان مرتفع .. مقام لسيدي «الواصل» تعلوه قبة كبيرة .. ثم مبنى الزاوية الوحيدة في القرية التي يجتمع فيها الناس للصلاة .

ولحق بالزاوية ـ لقدم عهدها ـ تهدم في اجزاء من جدرانها ـ وانتشر النمل بين احجارها الحمراء .. حتى ان طرفا من سقفها انهال ترابه .. وظهرت اعمدة السقف عارية ـ اذا اشتدت الرياح يسقط التراب من السقف .. واذا هطلت الامطار تساقطت في الجزء المكشوف من ارض الزاوية .

وكان الشيخ مهدي خطيب الزاوية يحث الناس على تجديدها .. وبنائها فهي ملاذهم الوحيد للتطهر من ذنوبهم .

وحين يجد ان النصف الخلفي عار الا من اعمدة الخشب يهدد بالويل .. والثبور للناسين بيوت الله .. ويعد الذين يعمرون مساجد الله باجر عظيم .

كان لدى اهل القرية تصميم مؤكد على ضرورة تكملة واعادة ترميم الزاوية .. ولكنها بقيت على حالتها لسنوات طويلة . ولم يصل الامر الى حد التنفيذ .. وان كان يعتمل في اعماقهم تانيب شديد لاهمالهم حتى سرى الخبر الواجف في القرية .

ـ الخشب بتاع الزاوية اتسرق .

ولان اعمدة الخشب ليست شيئا بسيطا يسهل اخفاؤه .. لذلك كان الامر مربكا .. والمرعشلي يلقي نظرة على الاعمدة المتراصة في داره .. وهو يغطيها بالقش حتى لا يراها احد من اهل القرية .. وهو يندم على تسرعه وذهابه لسرقة الاعمدة من الزاوية .

فلقد كانت ليلة حارة .. سهر فيها مع ثلاثة من رفاقه .. دخنوا الجوزة ثم «تعميرة» وزادوا في ذلك حتى احسوا بالانشراح يغمرهم فتبادلوا الحديث هينا .. سهلا .. يتخلله ضحكات .. وهم يحسون بالحياة خفيفة ـ كالنسمة الرضية التي تهب عليهم فتخفف من حدة الحر .. ولما شكا اليهم انه بنى غرفة جديدة .. ولا يجد الخشب لكي يسقف به الغرفة . هبط عليهم الحل سهلا .. ميسرا .

ـ الذي يحتاجه البيت .. يحرم على الجامع .

ـ ولا من شاف .. ولا من دري .

وتحمسوا لذلك فتسللوا الى الزاوية وهم يحسون بمرح ونشوة خفيفة .. حتى حملوا الخشب على اكتافهم الى بيت «المرعشلي» .

توارى اصحابه كانهم يخفون علاقتهم بما حدث .. ولكن اذا قابلوه حاولوا بث الثقة فيه حتى لا ينهار .

وحين صرخ الشيخ مهدي امام الزاوية :

ـ دا حرام .. هو الشيخ الواصل حايسكت .

احتج واحد من اصحاب المرعشلي :

ـ هو الشيخ الواصل حا يعمل ايه ؟!

ـ سيلقنكم درسا لن تنسوه . سيريكم الطريق للمحافظة على بيوت الله .

ويذوب المرعشلي من الخوف والارتباك .. ويبحث بعيونه عن رفقائه الثلاثة .. فيلمحهم يتهربون من مقابلته .

دوى النفير في القرية .. نفير له جاذبية عميقة عليهم .. كقوة خارقة .. تجذبهم .. فتحت البيوت .. خرجوا منها يتدفقون ناحية مصدر النفير .. النغمات آسرة .. لا يستطيعون منها فرارا ..وتقاطروا من الازقة ، الى الساحة الواسعة الموجودة امام الزاوية .. ولم يستطع اي واحد طرق سمعه ذلك النفير ان يتخلف عن الحضور .. جلس الاطفال في حلقة واسعة .. تحلق الرجال وقوفا .. وعلى اسطح المنازل تناثرت كتل سوداء اللون . من نساء القرية .

بدا الرجل النافخ في البوق نحيفا .. طويلا ..

ملامحه حادة .. في عيونه نظرة اسرة .. قادرة على ان تفقد الانسان قدرته .

تناثرت حوله عدة علب من الصفيح الصدئة .. ثم جراب اسود كالح .. ثم بعض ادوات الحواة .

وطفل صغير هو صورة مصغرة للرجل .. نفس الملامح الحادة .. والنظرات النفاذة .

دار الرجل ينظر في الوجوه دورة كاملة .. كانه يبحث عن احد .. ثم رجع الى النفير يواصل النفخ فيه فيتدفق بلا وعي عديد من اهل القرية .

اشار الرجل الى ابنه الصغير فرقد .. دار حوله .. ثم اخرج خنجرا حادا .. نصله لامع .

ضوى عليه الضوء وهو يقذفه الى اعلى ثم يلتقطه مرة اخرى .

شملهم صمت مترقب محفوف بالفزع من ذلك الخنجر .. والرجل يتحرك .. تزداد سرعته وحركته .. العيون تتابع سرعة دورانه .. ثم باقصى قوته يقذف الخنجر ليشق الهواء .. وله ازيز مرتفع .. ليندك في جسد الصبي .. الذي ارتعد بعنف .

بدت قطرات من الدم تنز من الموضع الذي غار فيه النصل .. لتصل الى الارض .. دائرة . متسعة .. متزايدة .

وهم في ذهول .. ورعب .. توقفت انفاسهم .. وتوقف معها الهواء الذي يحيط بهم .

دار الرجل حول الصبي عدة دورات ثم نظر الى الوجوه - كل الوجوه .. يقرأ الخوف المرتسم عليها واتجه الى الصبي فنزع منه الخنجر ثم زعق فيه بشدة .. فهب الصبي واقفا .. لم يتمالكوا انفسهم .. فاندفعوا في تصفيق متحمس .. كانهم يهربون من ذلك الخوف .. وذلك الذعر الذي تملكهم .. كانوا يغسلون فزعهم بالحماس .. والتصفيق .

دار الرجل في الحلقة .. يتصفح الوجوه واحدا .. واحدا .. وايديهم تهبط الى جوارهم .. يموت الحماس والتصفيق المتكلف . امام تلك النظرة المزلزلة .

سار بينهم . يتصفح الوجوه . ودوي الصمت ثقيلا حين رفع يده .. واشار باصبعه الى «المرعشلي» .

احس المرعشلي كان ذلك الاصبع يندك في قلبه .. احس بالضعف والوهن .. وفقد السيطرة على نفسه .. وانساق الى داخل الحلقة .. بلا وعي منه . حتى توسطها .

بدأ الرجل يتحرك .. يدور حوله .. تزداد سرعة دورانه .. وخنجره اللامع يضوي .. يقذفه الى اعلى .. ويتلقفه في يده .

وسرى الصمت المرتعب بين اهل القرية .. يزيد من وقعه .. وحدته .. زيادة دوران الرجل .

وجفت الحلوق رعبا . وتوقفت الانفاس .. وهم يلمحون نصل الخنجر يشق الهواء .. ثم يندك في صدر «المرعشلي» الذي انتفض .. وسقط على الارض .. وقطرات من الدم تنز من الجرح . قطرات قانية .. متزايدة .

شملهم صمت مرعب .. وهم يشاهدون الرجل يتقدم ويغطي الجسد المسجى بقطعة من القماش .. تغطي كل الجسد .

ما زال الرعب في الوجوه .. في العيـــون .. في القلوب .. حتى تقدم الرجل .. فانحنى وسحب قطعة القماش . وكادت القلوب ان تتوقف .. اذ لم يجدوا اسفلها سوى بركة - متسعة - من الدم .

ظلوا في ذهولهم .. حتى اخرج الرجل النفير .. ونفخ فيه .. فتفرقوا .. في صوت النفير قوة تدفعهم الى بيوتهم .. انتشروا يسعون الى دورهم .

وبعد مدة هزوا رؤوسهم كمن يستيقظ من حلم كثيف .. ودوى التساؤل :

هل صحيح كل ما رأوه ؟!

اندفعوا الى الخارج يتسابقون الى الساحة الواسعة عند الزاوية .. فوجدوا دائرة متسعة من الدماء .. نظروا الى الزاوية التي سرقت اخشابها وهم يتساءلون:

- اين المرعشلي ؟! .. اين هو ؟!

حمل الرجال الثلاثة الخشب من بيت المرعشلي الى الزاوية والخبر يتداح في القرية :

- المرعشلي هو الذي سرق خشب الزاوية وهتف الشيخ مهدي قائلا لرجال القرية :

- هذا درس لكم .. واذا لم تحافظوا على بيوت الله .. فان النفخة الثانية في البوق .. هي القاضية

عمل الرجال بكل جهدهم .. في بناء الزاوية .. تحولت النية الطيبة الى فعل .. فتكاتفوا في ترميمها .. وبناء الاجزاء المتهدمة منها .

وبعد عدة ايام ظهر المرعشلي في القرية .. يرتدي نفس الثياب وهو ذاهل عن نفسه .. وعن الجميع .. سألوه فلم يذكر شيئا .. ولم يتذكر شيئا فقط ينظر اليهم .. ثم يصيح :

مدد يا سيدي الواصل .

وتخرج تلك الجملة من اعماقه فتزلزلهم .. وتذكرهم .. بالقاضية .. فينشطون في بناء الزاوية .. والانتظام في الصلاة .

مسرد السنة الثالثة

مسرد القصائد

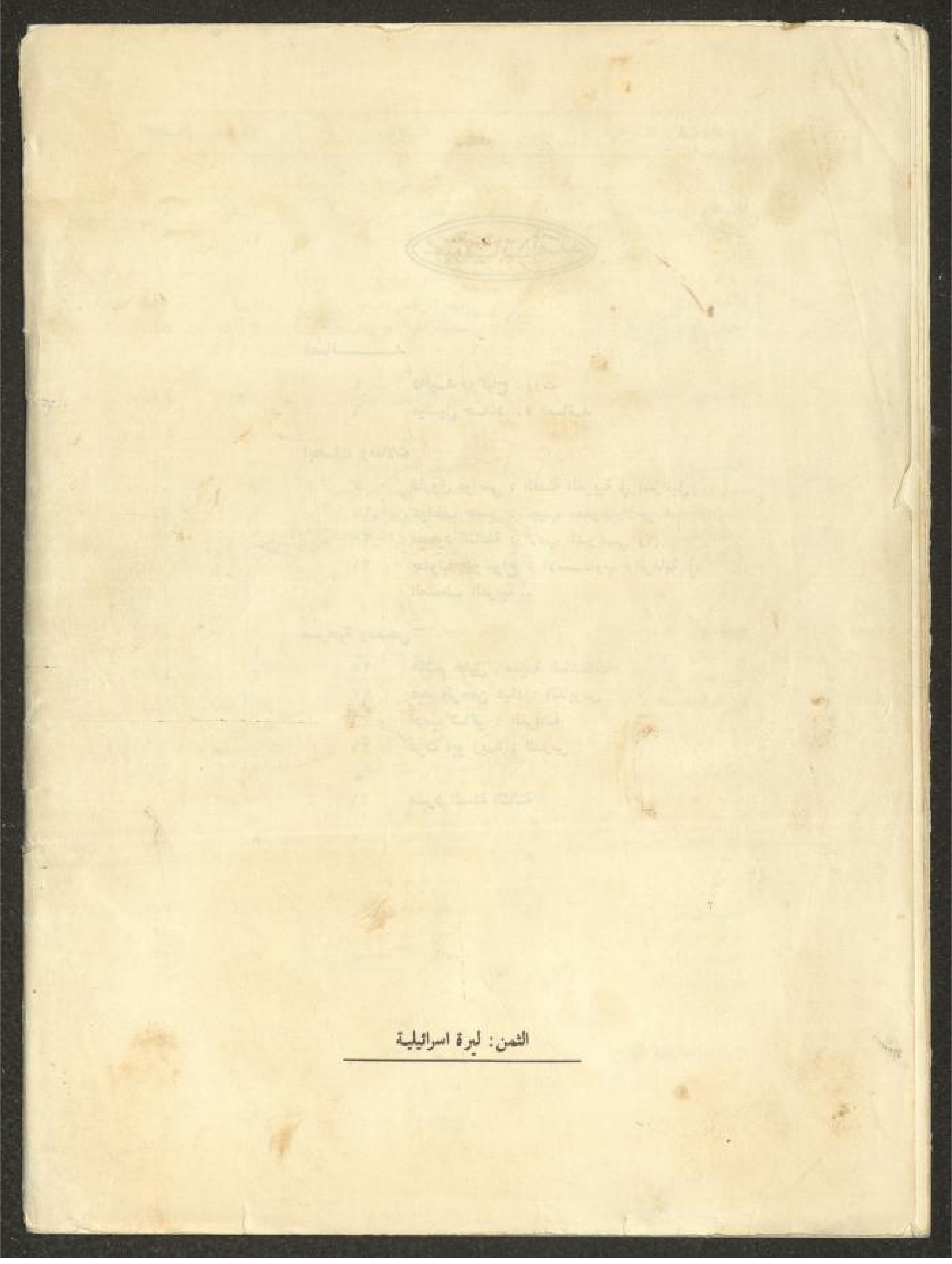
القصيدة	الشاعر	العدد	الصفحة
	(ن)		
نيسان	جمال قعوار	١ـ٢	٧
الناس واليافطة	ميشيل حداد	٤	٩
	(هـ)		
هدية صغيرة الى مارينا	لينا انجوليتي	٣	٦
هكذا في نينوى	ازرا باوند	٧	٥
	(و)		
وللقاء	ميشيل حداد	١ـ٢	٨
واشياء اخرى	ميشيل حداد	٤	٩
وداع	غوتفريد بن	٦	٥
الوقت الاخر	بلاس دي اويترو	٧	١٥
وادرك الليل قطاره	رشدي الماضي	٨	٩
وردة الدنيا	وليم ييتس	٩	١٠
وداعا	ميشيل حداد	١١	١٤
	(ي)		
يا ليل يا عين	ميشيل حداد	٤	٩

مسرد المقالات والابحاث

المقال	الكاتب	العدد	الصفحة
	(أ)		
الادب العربي والقارىء العبري	د. ساسون سوميخ	١ـ٢	٤٩
الالتصاق بالوجدان الفردي	عبد اللطيف عقل	٣	١٧
انا لا افكر الا بالمستقبل	د. لويس عوض	٣	٢٠
الادب العربي الحديث في اللغات الاوروبية	محمود كناعنه	٣	٢٥
اصبحت رجلا مشبوها	احمد شريف	٤	٢٩
الانطوائية في شعر بياليك	احمد الحاج	٥	١٣
اغاني القمة والقاع	علي خليل حمد	٥	١٨
اعادة زفاف الرواية	د. عبد الفتاح الديدي	٦	٣٧

مســرد القصص والمســرحيــات





الثمن : ليرة اسرائيلية